

الفصل الثاني

الدراسة النظرية

أ. الإطار النظري

١. مفهوم اجتماع الأدب

اجتماع الأدب، التي تفهم الظواهر الأدبية في علاقتها بالجوانب الاجتماعية، تُعدّ مقارنة أو طريقة لقراءة الأدب وفهمه ذات طابعٍ بيئيٍّ (متعدد التخصصات). لذلك، قبل توضيح ماهية سوسيولوجيا الأدب، يشرح عالم الأدب سوينغود في كتاب اجتماع الأدب (١٩٧٢) أولاً حدود علم الاجتماع بوصفه علمًا، وحدود الأدب، ثم يبيّن بعد ذلك أوجه الاختلاف والتشابه بين علم الاجتماع والأدب. (مسنوات الحواء، ٢٠١٧)

يبيّن سوينغود (١٩٧٢) أن علم الاجتماع هو دراسة علمية وموضوعية للإنسان في المجتمع، ودراسة للمؤسسات والعمليات الاجتماعية. ويسعى علم الاجتماع إلى الإجابة عن أسئلة تتعلق بكيفية إمكان قيام المجتمع، وكيفية عمله، ولماذا يستمر في البقاء. (واتي سوسياواتي، ٢٠٢٠). وما عرضه سوينغود لا يختلف كثيرًا عن تعريف علم الاجتماع الذي قدّمه سويرجونو سوكانتو (١٩٧٠)، إذ يرى أن علم الاجتماع هو العلم الذي يركّز اهتمامه على الجوانب الاجتماعية ذات الطابع العام، ويسعى إلى الوصول إلى الأنماط العامة لحياة المجتمع. وكذلك ما ذكره بيتيريم سوروكين (نقله سويرجونو سوكانتو)، حيث يرى أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين شتى أنواع الظواهر الاجتماعية (مثل الظواهر الاقتصادية، والظواهر الأسرية، والظواهر الأخلاقية)، وأن علم الاجتماع هو علم دراسة العلاقة والتأثير المتبادل بين الظواهر الاجتماعية والظواهر غير الاجتماعية، وأخيرًا، علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الخصائص العامة لجميع أنواع الظواهر الاجتماعية الأخرى (وياتمي، ٢٠١٣).

كل من علم الاجتماع والأدب لهما موضوع دراسة مشترك، وهو الإنسان في المجتمع، وفهم العلاقات بين البشر والعمليات التي تنشأ من هذه العلاقات داخل المجتمع. والفرق هو أنه بينما يقوم علم الاجتماع بالدراسة الموضوعية والعلمية للإنسان والمجتمع، ودراسة المؤسسات والعمليات الاجتماعية، ومعرفة

كيف يصبح المجتمع ممكنًا، وكيف يسير، وكيف يبقى قائمًا؛ فإن الأدب يتغلغل ويخترق سطح الحياة الاجتماعية ويظهر طرق تجربة الإنسان للمجتمع بمشاعره، ويجري دراسة بشكل ذاتي وشخصي (هرمان، ٢٠٢١).

في إطار دراسة الأدب، يُعتبر علم الاجتماع الأدبي، وبخاصة علم اجتماع العمل الأدبي، تطورًا من المنهج المحاكى (الميميتكي)، الذي طرحه أفلاطون، والذي يفهم العمل الأدبي في علاقته بالواقع والجوانب الاجتماعية للمجتمع. وقد تأسست هذه الرؤية على حقيقة أن وجود العمل الأدبي لا يمكن فصله عن الواقع الاجتماعي الذي يحدث داخل المجتمع (واقي سوسياواقي، ٢٠٢٠).

إن العلاقة بين علم الاجتماع والأدب كما صوّرها دامونو (٢٠٢٠) هي كما يلي:

- أ. إن الصلة بين علم الاجتماع والأدب تتوسطها شخصية الكاتب. فالكاتب في الحقيقة فردٌ يعيش في مجتمع. ولذلك فإن العمل الأدبي في جوهره يُعَدّ انعكاسًا لأحوال المجتمع وقيمه وحياته في البيئة التي يعيش فيها الكاتب أو التي تؤثر فيه.
- ب. إن العلاقة بين علم الاجتماع والأدب تتوسطها الوقائع الأدبية. فالعالم بوصفه حدثًا في العمل الأدبي يرتبط بالظروف الاجتماعية للمجتمع كما تتجلى في النص الأدبي. وهذا يعني أن سياق الأحداث المصوّرة في الأدب يتّصل بالثقافة والأوضاع الاجتماعية الكامنة في شخصية الكاتب.
- ج. إن العلاقة بين علم الاجتماع والأدب تتوسطها شخصية القارئ. فعملية القراءة تمثل نوعًا من التواصل بين القارئ والعمل الأدبي، وهي علاقة تفاعلية تقوم على الاستجابة المتبادلة.
- د. إن العلاقة بين علم الاجتماع والأدب تتوسطها الواقعية. فقد صنّف إيان وات، كما أورده كورنياوان (٢٠١٢)، سوسيولوجيا الأدب بوصفها مرآة للمجتمع، أي إلى أيّ مدى يعكس الأدب أوضاع المجتمع. ويُعَدّ الأدب، في هذا التصوّر، تصويرًا للعالم كما يجري في الحياة الواقعية.
- هـ. إن العلاقة بين علم الاجتماع والأدب تتوسطها اللغة بوصفها وسيلة الأدب. فاللغة هي وسيلة التداول والتواصل الاجتماعي العامة، بما في ذلك في المجال الأدبي.

ويُعدّ المنهج اجتماع في دراسة الأدب من أكثر المناهج استعمالاً، إذ يركّز على الجانب التوثيقي في الأدب انطلاقاً من فكرة أن الأدب مرآة العصر. ويرى هذا الاتجاه أن الأدب انعكاسٌ لمختلف جوانب البنية الاجتماعية، والعلاقات الأسرية، والصراعات، وغير ذلك. كما يرى كورنياوان (٢٠١٢) أن العلاقة بين العمل الأدبي وعلم الاجتماع علاقةٌ قائمةٌ من حيث طبيعة التخصصين، وليست علاقةً مصطنعة. وهي علاقةٌ معقّدةٌ وشاملة، لأنها تتضمن عناصر بناء الأدب المختلفة، مثل الكاتب، والوقائع الأدبية، والقارئ، والعالم المحال إليه، واللغة.

٢. الاجتماع و الأدب عند إيان وات

يصنّف إيان وات دراسة الاجتماع و الأدب في ثلاث قضايا، وهي:

أ. السياق الاجتماعي للمؤلف

عند إيان وات يشمل دراسة المكانة الاجتماعية للأديب في المجتمع وعلاقتها بالقراء. ويرى إيان وات أنّ العمل الأدبي لا ينشأ من فراغ، بل يتأثر بالظروف الاجتماعية التي تحيط بالمؤلف. ولذلك، فإنّ الفهم العميق للعمل الأدبي يتطلّب النظر إلى الخلفية الاجتماعية للمؤلف، بما تتضمنه من تجارب حياتية، وبيئة اجتماعية، وظروف اقتصادية، ومستوى تعليمي، إضافةً إلى الأوضاع السياسية والثقافية التي عاشها.

ويوضح إيان وات أنّ دراسة السياق الاجتماعي للمؤلف تهدف إلى معرفة مكانته الاجتماعية في المجتمع، وكيف تؤثر خبراته الاجتماعية في نظره إلى واقع الحياة. فالمؤلف بوصفه فرداً من أفراد المجتمع لا يمكن فصله عن البيئة التي يعيش فيها. وغالباً ما تكون التجارب التي يكتسبها من حياته اليومية مصدرًا للإلهام، وتنعكس في موضوعات العمل الأدبي ومضمونه والرسائل التي يحملها.

ب. الأدب بوصفه مرآة للمجتمع

يدرس علمُ اجتماع الأدب الذي ينظر إلى الأدب بوصفه مرآةً للمجتمع مدى قدرة الأعمال الأدبية على عكس الواقع الاجتماعي وتمثيله. وينطلق هذا الاتجاه من أن الأدب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة المجتمع، لأن العمل الأدبي ينشأ من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الأديب ويلاحظه ويتفاعل معه. ولذلك يمكن الاستفادة من الأدب في فهم الأوضاع

الاجتماعية والثقافية والقيم السائدة، فضلاً عن المشكلات والقضايا التي يشهدها المجتمع في فترة زمنية معينة.

وفي نظر إيان وات، لا يُعدُّ العمل الأدبي مجرد نتاج لخيال الأديب، بل هو أيضاً انعكاسٌ للحياة الاجتماعية. فمن خلال أعماله الأدبية يصوّر الأديب مختلف الظواهر الاجتماعية الموجودة في بيئته، مثل الظلم والفقر والصراعات والكفاح والعادات والتقاليد والقيم التي يتبناها المجتمع. وبذلك يصبح الأدب صورةً أو تمثيلاً للواقع الاجتماعي، يساهم في الكشف عن طبيعة المجتمع وفهم القضايا التي تشغل أفرادَه.

ج. الوظيفة الاجتماعية للأدب

تبحث الوظيفة الاجتماعية للأدب في مدى ارتباط القيمة الأدبية بالقيمة الاجتماعية. وفي هذا السياق، يميّز إيان وات (نقلاً عن دامونو، ١٩٧٩) بين ثلاثة اتجاهات رئيسة تتعلق بالوظيفة الاجتماعية للأدب، وهي: دراسة مدى فائدة الأدب للمجتمع، وما إذا كان يؤدي دوراً بوصفه وسيلةً للترفيه والتسلية، أو أداةً للنقد الاجتماعي، أو وسيلةً لإحداث التغيير والإصلاح الاجتماعي. وبناءً على ذلك، لا يُنظر إلى الأدب على أنه مجرد عمل فني أو جمالي، بل يُنظر إليه أيضاً بوصفه أداةً تؤثر في المجتمع وتسهم في تشكيل وعي أفرادَه. فمن خلال الأعمال الأدبية يمكن نقل القيم والأفكار، والكشف عن المشكلات الاجتماعية، وتوجيه المجتمع نحو التغيير الإيجابي، إلى جانب توفير المتعة الفنية والجمالية للقراء.

وبتركيزٍ مختلفٍ نوعاً ما، صاغ إيان وات (فيا دا مونو، ١٩٧٩) أيضاً مجال دراسة سوسيولوجيا الأدب الموجهة نحو المؤلف، أي نحو المكانة الاجتماعية للأديب في المجتمع وعلاقته بجمهور القراء. ويمكن فهم سوسيولوجيا المؤلف على أنها أحد مجالات سوسيولوجيا الأدب التي تركز اهتمامها على المؤلف بوصفه خالق العمل الأدبي. وفي سوسيولوجيا المؤلف يُنظر إلى المؤلف، بوصفه مبدع العمل الأدبي، على أنه كائن اجتماعي يرتبط وجوده بمكانته الاجتماعية في المجتمع، وبالأيديولوجيا التي يعتنقها، وبموقعه في المجتمع، وكذلك بعلاقته بالقراء.

وانطلاقاً مما طرحه كلٌّ من ويليك ووارن، وكذلك وات، أعلاه، فإن المجالات التي تُعدّ موضوعاً لدراسة الاجتماع المؤلّف تشمل، من بين أمور أخرى، ما يلي:

أ. المكانة الاجتماعية للمؤلّف

غالبًا ما تُسمّى المكانة الاجتماعية بالمنزلة أو الموقع، أي مرتبة الشخص داخل جماعته الاجتماعية. وكثيرًا ما يُفهم مصطلحا المكانة والمكانة الاجتماعية على أنهما مصطلحان مستقلان. فالمكانة تُعرّف بأنها موقع أو موضع الشخص في جماعة اجتماعية معيّنة. أمّا المكانة الاجتماعية فهي الموضع العام الذي يشغله الفرد في مجتمعه بالنسبة إلى الآخرين، من حيث بيئة علاقاته الاجتماعية، ووجهته (مكانته الاعتبارية)، وحقوقه وواجباته. غير أنّه ولغرض التبسيط، يرى سويرجونو سوكانتو أن المصطلحين يحملان المعنى نفسه، أي المكانة فقط (وياتي، ٢٠١٣).

وبوجه عام تُقسّم المكانة إلى ثلاثة أنواع، هي: المكانة الموروثة، والمكانة المكتسبة، والمكانة المسندة أو المهيّنة. فالمكانة الموروثة هي المنزلة التي يحصل عليها الفرد في المجتمع دون النظر إلى الفروق الروحية أو القدرات الشخصية، إذ تُكتسب هذه المكانة عن طريق الولادة. فعلى سبيل المثال، إذا كان الشخص ابنًا لأحد النبلاء، فإنه يُعدّ نبيلاً أيضًا حتى يكبر. وغالبًا ما توجد المكانة الموروثة في المجتمعات ذات النظام الطبقي المغلق، مثل المجتمعات الإقطاعية أو المجتمعات التي يعتمد نظامها الطبقي على الفروق العرقية. ومع ذلك، فهي لا تقتصر على المجتمعات المغلقة فقط، بل توجد أيضًا في المجتمعات ذات النظام الاجتماعي المفتوح. فعلى سبيل المثال، مكانة الرجل داخل الأسرة تختلف عن مكانة الزوجة والأبناء.

أمّا المكانة المكتسبة فهي المنزلة التي يحصل عليها الفرد من خلال السعي والجهود المقصودة التي يبذلها بنفسه. وهذه المكانة متاحة للجميع، وتعتمد على قدرات كل فرد في السعي لتحقيق أهدافه والوصول إليها. فعلى سبيل المثال، يتطلب أن يصبح الشخص عضوًا في الهيئة التشريعية توافر شروط معيّنة. فإذا رغب شخص ما في أن يكون عضوًا تشريعيًا، فعليه استيفاء تلك الشروط، وإذا تم انتخابه لاحقًا فإن مكانته في المجتمع ستتغير (مسنوات الحواء، ٢٠١٧).

أما المكانة المسندة فهي المنزلة التي يحصل عليها الفرد من خلال منحها له جماعة معينة تقديرًا لخدماته. وعادةً ما يكون الشخص الذي يُمنح هذه المكانة قد قدّم إسهامات أو ناضل من أجل تحقيق أمرٍ ما لتلبية حاجات المجتمع ومصالحه. ومن أمثلتها منح جائزة نوبل للأشخاص الذين نجحوا في النضال من أجل مصالح المجتمع (وياتي، ٢٠١٣).

وفيما يتعلّق بدراسة المكانة الاجتماعية للمؤلف في إندونيسيا، ينبغي الانتباه إلى الجوانب المرتبطة بالمكانة الموروثة، والمكتسبة، والمسندة، لأن المكانة الاجتماعية لبعض المؤلفين لا تنفصل عن هذه الأنواع الثلاثة من المكانة الاجتماعية.

ب. الأيديولوجيا الاجتماعية للمؤلف

تعرّف الأيديولوجيا بأنها مجموعة من القيم والأفكار والمعايير والمعتقدات والقناعات التي يمتلكها فرد أو جماعة، والتي تُشكّل أساسًا لتحديد المواقف تجاه الأحداث أو المشكلات التي يواجهونها. وفي إطار الدراسات الأدبية، غالبًا ما يُساوى مفهوم الأيديولوجيا هذا بمفهوم رؤية العالم، أي ذلك النسق الشامل من الأفكار والتطلعات والمشاعر التي تربط بين أفراد جماعة اجتماعية معينة، وتضعهم في مواجهة جماعات اجتماعية أخرى.

وبما أن هذه الأيديولوجيا تنتمي إلى جماعة اجتماعية، فإنها تُسمّى أيضًا بالأيديولوجيا الاجتماعية. ووفقًا للمنظور السوسيولوجي للمؤلف، فإن الأيديولوجيا الاجتماعية التي يعتنقها الكاتب تؤثر في كيفية فهمه وتقييمه للمشكلات الاجتماعية التي تحدث في محيطه.

ج. الخلفية الاجتماعية والثقافية

الخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف هي المجتمع والظروف الاجتماعية والثقافية التي وُلد فيها المؤلف، وعاش فيها، وأنتج أعماله الأدبية. وهذه الخلفية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، تكون لها علاقة بالأعمال الأدبية التي يبدعها. وبوصفه إنسانًا وكائنًا اجتماعيًا، يتشكّل المؤلف من خلال مجتمعه، ويتعلّم مما يحيط به. وتقوم علاقة مترابطة بين الأديب، وخلفيته الاجتماعية والثقافية، والعمل الأدبي الذي يكتبه.

د. المكانة الاجتماعية للأديب في المجتمع

ترتبط المكانة الاجتماعية للأديب بوضعه ودوره الاجتماعيين داخل المجتمع. فإلى جانب كونه أديبًا، ما هي مكانته الاجتماعية وما دوره في المجتمع؟ إن مكانة الأديب ووضعه المهمين إلى حد ما في المجتمع، إضافةً إلى تأثيرهما في مضمون أعماله الأدبية، لهما أيضًا تأثير في مدى تقبل المجتمع للأعمال التي ينتجها (ويأتي، ٢٠١٣).

هـ. المجتمع القارئ المستهدف

بصفته عضوًا في المجتمع، لا يستطيع الأديب عند كتابة عمله الأدبي أن يتجاهل المجتمع القارئ الذي يستهدفه. ولكي يُقبل عمله لدى المجتمع، ينبغي على الأديب أن يراعي المضمون واللغة المستخدمة. ومع ذلك، فإن الأديب في إبداعه لا يعتمد اعتمادًا كليًا ولا ينصاع بشكل سلبى لذوق الراعي أو الجمهور، بل قد يكون الأديب نفسه هو من يخلق جمهوره. وفي العلاقة بين الأديب والمجتمع، يوضح ويلك ووارن (١٩٩٤) أيضًا أن الأديب يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه في الوقت نفسه. فالفن (الأدب) في هذه الحالة لا يقتصر على محاكاة الحياة، بل يسهم كذلك في تشكيلها.

و. سبل عيش الأديب واحترافية التأليف

ليس جميع الأدباء يتخذون من نشاط الكتابة وحده مصدرًا لكسب رزقهم. وفي هذا السياق، يبين وات (نقلًا عن دامونو، ١٩٧٩: ٣) الكيفية التي يحصل بها الأديب على معيشته: هل يحصل عليها من راعٍ، أم مباشرة من المجتمع، أم من خلال عمل مزدوج.

وباعتباره شخصًا ذا عمل مزدوج، فمن المؤكد أنهم لا يحصلون على دخلهم من مهنتهم كأدباء فحسب. بل قد يكون دخلهم الأساسي ليس من مهنتهم الأدبية، وإنما من أعمال أخرى. إن تعدد الأعمال لدى الأديب يثير إشكالية الاحترافية في التأليف الأدبي، أي إلى أي مدى ينظر الأديب إلى عمله بوصفه مهنة احترافية.

إن تعدد الأعمال لدى الأديب يثير إشكالية الاحترافية في مهنة الكتابة. فإلى أي حد يعدّ الأديب عمله مهنة أساسية؟ وهل ينظر إلى كونه أديبًا بوصفه مهنته الرئيسة، أم يعدّه عملًا جانبيًا؟ وفي هذا الشأن ينبغي إجراء دراسة ميدانية تجريبية على عددٍ من الأدباء الإندونيسيين. ومن جهةٍ أخرى، فإن العمل المزدوج

الذي يختاره الأديب يؤثر كذلك في العمل الأدبي الذي يُنتجه، كما سبق بيانه في مسألة مكانة الكاتب ووضعه في المجتمع.

ولما كان مجال دراسة اجتماع المؤلف واسعاً، فإن تطبيق هذا المنهج يقتضي البدء بتحديد الإشكالية المراد دراستها، سواء أكانت مسألة واحدة (مثل المكانة الاجتماعية)، أم عدّة مسائل مجتمعة (كالأيديولوجيا الاجتماعية، والخلفية الاجتماعية والثقافية، والموقع الاجتماعي للأديب في المجتمع). كما ينبغي تحديد الكاتب الذي ستتناوله الدراسة (مثل أيو أوتامي أو براموديا أنانتا تور). وبعد ذلك تُجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالقضية المختارة.

٣. السيرة الذاتية لإيان وات

إيان وات (٩ مارس ١٩١٧ - ١٣ ديسمبر ١٩٩٩) كان ناقدًا أدبيًا ومؤرخًا للأدب وأستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة ستانفورد. وُلد في ويندريمير، ويستمورلاند، إنجلترا، وتلقى تعليمه في مدرسة دوفر الثانوية للبنين وكلية سانت جون في كامبريدج، حيث حصل على شهادة امتياز من الدرجة الأولى في اللغة الإنجليزية. يُعرف إيان وات بنهجه في علم اجتماع الأدب (بيتي ماولي، ٢٠١٥).

انضم وات إلى الجيش البريطاني في سن الثانية والعشرين وخدم بتميز في الحرب العالمية الثانية كضابط مشاة من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٦. أصيب في معركة سنغافورة في فبراير ١٩٤٢ وسُجِّل كـ "مفقود"، يُعتقد أنه قُتل في المعركة". تم أسره على يد اليابانيين وبقي في سجن تشانغي حتى عام ١٩٤٥، حيث عمل مع أسرى آخرين في بناء خط سكة حديد بورما الذي يمر عبر تايلاند، وهو إنجاز ألهم كتاب بيير بول، الجسر فوق نهر كواي وفيلمها المقتب، جسر على نهر كواي (كاريا) ديفيد لين. وات انتقد الكتاب والفيلم بسبب الحرية التي أخذها في تفاصيل التاريخ المتعلق بتجربة أسرى الحرب، وبشكل أكثر دقة لرفضهما الاعتراف بالتعقيد الأخلاقي لتلك الحالة. فقد توفي أكثر من ١٢,٠٠٠ أسير أثناء بناء خط السكك الحديدية، وكان معظمهم بسبب المرض، كما عانى وات من مرض خطير نتيجة سوء التغذية لعدة سنوات. وقال وات لصحيفة سان فرانسيسكو إنكرامير في مقابلة عام ١٩٧٩: "كانت هناك فترات تمنيت فيها الموت". وأضاف: " لكنني لم أكن أعلم مدى

خطورة حالتي حتى أعطوني بعض أقراص الفيتامينات التي وصلت للتو إلى المعسكر. وأتذكر أنني اندهشت كثيرًا لأنهم اعتبروني مريضًا بما يكفي لتلقي الفيتامينات". توفي وات في مينلو بارك، كاليفورنيا، بعد مرض طويل وإقامته في دار لرعاية المسنين.

أحد العناصر الأساسية التي استكشفها وات هو تراجع أهمية فلسفة العصر الكلاسيكي، مع تعدد التيارات الفكرية المثالية التي كانت ترى التجربة الإنسانية على أنها مؤلفة من أشكال أفلاطونية كونية ذات كمال متأصل. وقد هيمنت مثل هذه الرؤى للحياة والفلسفة على الكتاب من العصور القديمة حتى عصر النهضة، مما أفضى إلى أشكال وأنواع من الشعر الكلاسيكي ذات حركات وشخصيات تُعد في جوهرها بيانات.

كتب المنظر الروسي ميخائيل باختين أن هذا النوع من الأدب يمكن، حرفيًا، قراءته من الأمام إلى الخلف أو من الخلف إلى الأمام من دون اختلاف يُذكر في الأثر). وقد بدأت هذه القناعة الفلسفية تُستبدل ربما في أواخر عصر النهضة، وصولًا إلى عصر التنوير، والأهم من ذلك في مطلع القرن الثامن عشر. إن أهمية الفلاسفة العقلانيين مثل جون لوك وديكارت وسبينوزا، وكثيرين غيرهم ممن ساروا على نهجهم، إلى جانب التطورات العلمية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة، بدأت تُحدث أثرًا متزايدًا. وبدلاً من المثالية الكلاسيكية الأقدم، أخذ يتبلور فهم واقعي وبرغماتي وتجريبي للحياة ولسلوك الإنسان، يعترف بفردانية الإنسان وبخبرته الواعية. وقد انعكس ذلك في روايات دانييل ديفو، وصموئيل ريتشاردسون، وهنري فيلدينغ، الذين شرعوا في الكتابة عن حياة وتجارب أفراد فريدين تُعاش ضمن بيئات واقعية وتشاركية بين الذوات (وهو مصطلح يعود إلى هوسرل). ويكتب واط أن المعيار الأساسي لشكل الرواية هو الصدق تجاه خبرة الفرد. وأصبح هذا التركيز على الخبرة الفردية سمة مميزة للرواية وفق التصور الوائي.

أما الاتجاه الرئيسي الثاني الذي درسه واط فهو نشوء جمهور القراء ونمو النشر المهني خلال هذه الفترة. فقد كان الناشرون آنذاك "يشغلون موقعًا استراتيجيًا بين المؤلفين والطابعين، وبين هؤلاء والجمهور". وقد أدى تنامي الاهتمام بالربح إلى دفع الناشرين للوصول إلى جمهور أوسع من القراء. وإضافة إلى

ذلك، فإن تخصص المهن، الذي ضيق نطاق الخبرة اليومية لهذا الجمهور الجديد من القراء، خلق سوقاً لتصوير طيف واسع من الطبقات والمجتمعات والأعمار وأنواع الجنس وغيرها... (الكتابة التي ...)

مُوجَّهٌ إلى النساء، وكتبَ بأقلام نسائية، وكان يُعَدُّ اتجاهاً مهماً في أدب القرن الثامن عشر. ويمكن ملاحظة كتابات مفصلة عن تجارب أشخاص مختلفين في الروايات التي درسها وات، وهو أمر نادر الظهور قبل ذلك. ويقدم وات في هذا الجزء من الكتاب كثيراً من التفاصيل الإحصائية لدعم حججه.

ويُعدّ عمله المعنون "نشأة الرواية: دراسات في ديفو وريتشاردسون وفيلدينغ الصادر عام ١٩٥٧، عملاً مهماً في تاريخ النقد الأدبي الأكاديمي. ويُعدّ كتاب "نشأة الرواية" عند كثير من دارسي الأدب المعاصرين عملاً أساسياً حول أصول الرواية، ودراسة مهمة في الواقعية الأدبية. ويتتبع هذا الكتاب ظهور الرواية الحديثة وصولاً إلى الاتجاهات والظروف الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية التي برزت في مطلع القرن الثامن عشر. وقد أصبح موضوعاً لسيرة فكرية بقلم مارينا ماكاي بعنوان إيان وات: الرواية والناقد في زمن الحرب الصادرة عام ٢٠١٨.

٤. قصيدة بطاقتي هوية لمحمود درويش

وُلدت قصيدة "بطاقتي هوية" أو بطاقة الهوية للشاعر محمود درويش من واقع حياتيٍّ مريرٍ خائق. فهذه القصيدة ليست مجرد عملٍ أدبي، بل هي صوت قلب إنسانٍ تُوضع هويته وأرضه وكرامته موضع تساؤلٍ دائم. ومن خلال هذه القصيدة يتحدّث محمود درويش بصفته فرداً، لكنه في الوقت نفسه يمثل الصرخة الجماعية للشعب الفلسطيني (محمد والدين، ٢٠٢٢).

كُتبت هذه القصيدة عام ١٩٦٤، في وقتٍ كانت فيه فلسطين تعيش وضعاً سياسياً بالغ الظلم. فمنذ نكبة عام ١٩٤٨، طُرد مئات الآلاف من الشعب الفلسطيني من أراضيهم. صودرت البيوت، ودُمّرت القرى، وسُعي تدريجياً إلى محو الهوية الوطنية الفلسطينية. أما الذين بقوا في المناطق الخاضعة لسيطرة إسرائيل، فقد عاشوا تحت رقابة صارمة، وتمييزٍ قانوني، ومعاملةٍ لا إنسانية. وفي مثل هذا الواقع، لم تعد بطاقة الهوية مجرد وثيقة تعريف، بل تحوّلت إلى أداة سلطة، ووسيلة لتحديد من يحقّ له أن يعيش بحرية، ومن عليه أن يخضع.

وقد عاش محمود درويش هذه التجربة بكل تفاصيلها. فقد عاش بوصفه فلسطينيًا يُطالب في كل لحظة بتفسير من هو، ومن أين أتى، وهل هو جدير بالبقاء في أرض مولده. وهذه التجربة هي الخلفية العاطفية لولادة قصيدة بطاقي هويّة. وقد كُتبت القصيدة على لسان مواطن فلسطيني يقف أمام موظف فحص الهويات، مجيبًا عن أسئلة تنتهك كرامة الإنسان وتُشعره بالإذلال (أخ طيفور، وسوديكن)

تُفتتح القصيدة بجملة حاسمة للغاية: "سجّل! أنا عربي!" تبدو هذه العبارة بسيطة، لكنها تحمل قوة هائلة. فكلمة "سجّل" تعبّر عن موقف تحدّ، وكأن الشاعر يقول إن هويته ليست أمرًا يمكن محوه أو الجدل فيه. إنه لا يطلب اعتذارًا، بل يعلن وجوده بثبات. وفي عالم يسعى إلى طمس أثر فلسطين، يصبح هذا الإعلان عن الهوية شكلاً من أشكال المقاومة الأكثر بساطة، لكنه في الوقت نفسه الأكثر قوة.

ثم يصوّر درويش في هذه القصيدة حياة الشعب الفلسطيني بلغة صادقة ومباشرة. يتحدث عن أسرته، وعدد أبنائه، وعمله، وحياته البسيطة. وهذه الصور لم تُذكر عبثًا؛ فالشاعر يريد أن يبيّن أن الفلسطينيين بشر عاديون، لا يشكّلون تهديدًا، ولا هم إرهابيون كما تُلصق بهم هذه الوصمة في كثير من الأحيان. إنهم فلاحون، وعمال، وآباء، وأمّهات، وأطفال، لا يريدون سوى أن يعيشوا بسلام في أرضٍ ورثوها عن أجدادهم (محمد واليدين، ٢٠٢٢).

ومع ذلك، خلف تلك البساطة يكمن عذاب عميق. يصوّر درويش كيف تُغتصب الأرض، وكيف لا يتناسب نتاج العمل الشاق مع الضرائب التي يجب دفعها، وكيف يصبح الفقر جزءًا من الحياة اليومية. كل ذلك يولّد غضبًا، لكنه ليس غضبًا أعمى. فالغضب في هذه القصيدة هو غضب نابع من ظلم متواصل. وتشتد نبرة القصيدة عندما يطلق درويش تحذيرًا مفاده أن لصبر الإنسان حدودًا. إن العبارات القاسية التي تظهر في نهاية القصيدة ليست دعوة إلى العنف، بل صرخة رمزية تؤكد أن القمع الطويل الأمد سيولد مقاومة. ويؤكد درويش أنه لا يكره أحدًا، لكنه في الوقت نفسه يرفض أن يعيش مذلولًا وجائعًا في أرضه.

وبصورة عامة، فإن مضمون قصيدة بطاقي هويتي هو تأكيد للهوية، ونقد للقمع، ودفاع عن كرامة الإنسان. فالهوية في هذه القصيدة ليست مجرد اسم ورقم

في بطاقة، بل هي تاريخ طويل، وأرض الأجداد، والحق في العيش كإنسان حر. وبيّن درويش أنه عندما تُسلب الهوية من الإنسان، فإنه يفقد أكثر من مجرد وضع قانوني؛ إنه يفقد إحساسه بإنسانيته.

ثم أصبحت هذه القصيدة ذات أهمية كبيرة في عالم الأدب العربي وعلى الصعيد الدولي، لأنها نجحت في تحويل المعاناة إلى كلمات حيّة توقظ الضمير. فقصيدته بطاقتي هويتي ليست عن فلسطين وحدها، بل عن كل من شعر يوماً بالاضطهاد والتهميش، وأُجبر على إثبات وجوده (محمد واليدين، ٢٠٢٢). وفيما يلي قصيدة بطاقتي هويتي للشاعر محمود درويش:

بطاقة هوية

سجل !

أنا عربي

وَرَقْمُ بَطَاقَتِي خَمْسُونَ أَلْفَ

وَأَطْفَالِي ثَمَانِيَّةُ

وَنَاسُهُمْ سَيِّئَاتِي بَعْدَ صَيْفٍ !

فَهَلْ تَغْضَبُ؟

سجل !

أنا عربي

وَأَعْمَلُ مَعَ رِفَاقِ الْكُدْحِ فِي مَحَجَرٍ

وَأَطْفَالِي ثَمَانِيَّةُ

أَسْأَلُ لَهُمْ رَغِيفَ الْخُبْزِ ،

وَالْأَنْوَابَ وَالْدَّقْتَرُ

مِنَ الصُّخْرِ

وَلَا أَتَوَسَّلُ الصَّدَقَاتِ مِنْ بَابِكَ

وَلَا أَصْعَرُ

أَمَامَ بِلَاطِ أَعْتَابِكَ

فَهَلْ تَغْضَبُ ؟

سجل !

أنا عربي

أنا اسم بلا لقب
 صبور في بلادٍ كُلِّ ما فيها
 يَعِيشُ بِقَوْرَةِ الْعَضْبِ
 جذوري
 قبل ميلادِ الزَّمانِ رَسَتْ
 وقبل تفتحِ الحقب
 وَقَبْلَ السَّروِ والزيتون
 وَقَبْلَ تَرَعْرِعِ الْعُصْبِ
 أبي .. مِنْ أُسْرَةِ الْمَحْرَاثِ
 لا مِنْ سَادَةِ الْجُبِ
 وَجَدِّي .. كَانَ فلاحاً
 بِلا حَسَبٍ .. وَلَا نَسَبٍ !
 يُعَلِّمُنِي شَمُوحِ الشَّمْسِ قَبْلَ قِرَاءَةِ الْكُتُبِ
 وَيَبْنِي ، كُوحُ ناطور
 مِنْ الْأَعْوَادِ وَالْقَصَبِ
 فَهَلْ تُرْضِيكَ مَنْزِلَتِي ؟
 أنا إِسْمٌ بِلا لَقَبٍ !
 سجل !
 أنا عَرَبِي
 سَلَّيْتُ كروم أجدادي
 وَأَرْضاً كُنْتُ أَفْلَحُهَا
 أنا وَجَمِيعُ أولادي
 وَلَمْ تَتْرُكْ لَنَا .. وَلِكُلِّ أَحْفَادِي
 سوى هذي الصخو
 فَهَلْ سَتَأْخُذُهَا
 حُكُومَتُكُمْ .. كَمَا قِيلاً ؟!
 إذن !
 سَجِّلْ .. بِرَأْسِ الصُّفْحَةِ الْأُولَى

أَنَا لَا أَكْرَهُ النَّاسَ
وَلَا أَسْطُو عَلَى أَحَدٍ
ولكني .. إذا ما جُعْتُ
أَكُلُ لَحْمَ مُعْتَصِبِي

حذار

حذار

مِنْ جُوعِي

وَمِنْ غَضْبِي

محمود درويش

٥. سيرة الذاتية لمحمود درويش

يُعدّ محمود درويش أحد أبرز رموز الشعر الحديث وُلِدَ هذا الشاعرُ الفلسطينيُّ باسم محمود سليم حسين درويش في ١٣ مارس ١٩٤١. وقد أبصر النور في قرية البروة الواقعة بين منطقة الجليل في غرب فلسطين ومدينة عكا في الشرق، ولا تبعد عنها سوى تسعة كيلومترات. وكان والده سليم درويش فلاحًا يملك أرضًا زراعية في قرية البروة، أمّا والدته حُرّيّة فكانت امرأة أميّة من قرية الدامون. وقد كان من حسن حظّه أن جدّه علّمه القراءة. وكان محمود درويش الابن الثاني من بين ثمانية أبناء؛ إذ كان له أربعة إخوة ذكور وثلاث أخوات، وكان اثنان من إخوته، أحمد وزكي، يميلان كذلك إلى الأدب.

عندما بلغ محمود درويش السادسة من عمره، شنت إسرائيل هجوماً على قرية البروة وما حولها. وكان موقعها الجغرافي المطلّ على البحر الأبيض المتوسط، ووقوعها إلى الجنوب من لبنان، سبباً في جذب اهتمام إسرائيل لاحتلالها مبكراً. فقد كان هذا الموقع يسهّل استقبال المهاجرين اليهود القادمين من أوروبا وروسيا. وكان عدد سكان القرية سنة ١٩٤٨ نحو ١٦٩٤ نسمة، غالبيتهم من المسلمين والباقيون من المسيحيين، غير أنّ القرية دُمّرت، وقُتل بعض سكانها أو أُجبروا على مغادرتها.

نجا محمود درويش مع أفراد أسرته الذين بقوا على قيد الحياة، فلهجؤوا إلى لبنان. وقد ظلّت حادثة فراره راسخةً في ذاكرته لا تُنسى. ففي ليلةٍ من ليالي صيف عام ١٩٤٨، أخذ الرصاص يصقّر فجأةً باحثًا عن ضحايا بلا رحمة.

فهرب نحو غابة الزيتون المظلمة الوعرة، يمشي حيناً ويرحف حيناً آخر في خوفٍ وعطشٍ شديدين. وبعد مسير ليلةٍ كاملةٍ مثقلةٍ بالدماء، وصل هو وأسرته إلى أرضٍ أخرى هي لبنان. وكان والد محمود درويش من بين ضحايا أحداث عام ١٩٤٨؛ إذ نُهبت أرضه، ودُمّر منزله مع بيوت القرية الأخرى. وهكذا نشأ محمود محروماً من الأرض التي ترعرع فيها، يتيم الأب، بعد أن استشهد والده في الحرب العربية الإسرائيلية في فلسطين سنة ١٩٤٨.

أقام سنةً كاملةً لاجئاً في لبنان، في مخيماتٍ مكتظة، يصطف للحصول على الجبن الأصفر، ويتعرّض أحياناً لمضايقاتٍ من بعض أقرانه. ثم عاد سنة ١٩٤٩ إلى فلسطين خفياً مع عمّه. وعند وصوله إلى عكا وجد المنطقة قد تحوّلت إلى مستوطنةٍ يهوديةٍ سُمّيت كيبوتس يعسور، وتُذكر في مصادر أخرى باسم أحيهود. بدأ محمود تعليمه في البيت، فتعلّم القراءة على يد جدّه، الذي شجّعته كذلك على كتابة الشعر. كما تلقّى دافعاً من أخيه أحمد، المحبّ للأدب. وتأثّر هو وأخوه زكي بتشجيع الجدّ والأخ، غير أنّ المسيرة الأدبية لزكي لم تحظَ بذكرٍ واسعٍ في المصادر. ولا توجد معلومات تؤكّد أنّه التحق بتعليمٍ نظامي قبل نزوحه إلى لبنان سنة ١٩٤٨. وبعد عودته إلى فلسطين سنة ١٩٤٩ بدأ تعليمه الرسمي في مدرسة دير الأسد تحت الحكم الإسرائيلي. ومنذ صغره أخذ يصقل موهبته الشعرية بدراسة الشعر الجاهلي، وكان أستاذه الشيوعي نمر مرقس من أبرز من شجّعته على الكتابة.

في أوائل ستينيات القرن العشرين، نشر محمود درويش قصائد جعلته مشهوراً، من أبرزها قصيدة "بطاقتي هويّة" عام ١٩٦٤. وقد أسهمت هذه القصيدة في انتشار اسمه على نطاق واسع، إذ عبّر فيها بجرأة عن الهوية الفلسطينية وتحديّ نظام القمع بالكلمة. ومنذ ذلك الحين، غدّ درويش صوت الشعب الفلسطيني. تروي هذه القصيدة هوية الوطن المحتلّ ومصير الشعب الفلسطيني المستعمر في أرضه. وقد تصاعد الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين على نحوٍ واسعٍ بعد حرب عام ١٩٤٨، ثم تلاها عدوان عام ١٩٥٦. وفرضت إسرائيل نظام بطاقات الهوية على الفلسطينيين العرب بألوانٍ مختلفة، لتسهيل تصنيفهم والتمييز بينهم.

وفي عام ١٩٧١، غادر وطنه واستقر في عدة أماكن، منها بيروت والأردن وباريس وتونس. وواصل إبداعه الشعري، محافظاً على التزامه بالمطالبة بالعدالة لوطنه فلسطين، وأصدر عددًا من الدواوين الشعرية (بيتي ماولي، ٢٠١٥).

ب. الدراسات السابقة

تُعَدّ الدراسات السابقة مرجعًا أساسيًا يُستند إليه في تنفيذ البحث العلمي. وتكتسب هذه الدراسات أهمية كبيرة عندما تكون المراجع البحثية المستخدمة ذات صلة وثيقة بموضوع البحث الوارد في هذه الرسالة. ومن أجل تجنّب التكرار أو التشابه في هذا البحث، كان من الضروري الاطلاع على الدراسات السابقة، ومن بينها ما يأتي:

١. نور عيني (٢٠٢١) بعنوان: التحليل السوسيولوجي الأدبي في رواية "الأرض البشرية" لبراموديا أنانتا تور. هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مختلف المشكلات الاجتماعية التي صوّرتها الرواية، مثل التمييز العنصري، والظلم الاجتماعي، والنضال من أجل الحصول على الحقوق الإنسانية. وأظهرت نتائج الدراسة أن الرواية تعكس الأوضاع الاجتماعية للمجتمع في فترة الاستعمار، كما تُبرز وجود فجوة اجتماعية بين السكان الأصليين والمستعمرين. وتتمثل أوجه التشابه بين دراسة نور عيني وهذه الدراسة في استخدام منهج علم اجتماع الأدب لتحليل العلاقة بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي، حيث تسلط كلتاها الضوء على القضايا الاجتماعية التي تنعكس في الأعمال الأدبية. أما أوجه الاختلاف، فتتمثل في أن دراسة نور عيني ركزت على المشكلات الاجتماعية في رواية "الأرض البشرية"، في حين تركز هذه الدراسة على تمثيل الهوية الوطنية الفلسطينية، وصور الاضطهاد، ومظاهر مقاومة الشعب الفلسطيني كما تجلت في قصيدة "بطاقة هوية" للشاعر الفلسطيني محمود درويش.

٢. محمد فرحان في عام ٢٠٢٠ بعنوان القيم الاجتماعية في رواية الأجنحة المتكسرة لخليل جبران (تحليل اجتماع للأدب). ركزت أطروحة محمد فرحان على القيم الاجتماعية مثل: قيمة الحب والحنان في الصفحة ٦، قيمة الإخلاص والتفاني في الصفحة ١٦، قيمة التعاون والمساعدة في الصفحة ٦٥، قيمة الروابط العائلية في الصفحة ٢٠، قيمة الوفاء في الصفحة ٢٥،

قيمة العناية والاهتمام في الصفحة ٤٠، قيمة المسؤولية والتي تتضمن شعور الملكية، قيمة الانضباط في الصفحة ١٦، قيمة التعاطف في الصفحات ٦٦-٦٧، وقيمة التمييز في الصفحة ٨٤. تشابه هذه الدراسة مع دراسة محمد فرحان (٢٠٢٠) يكمن في استخدام نظرية اجتماع الأدبية التي ترى العمل الأدبي كمرآة للواقع الاجتماعي. كلا الدراستين تدرسان القضايا الاجتماعية التي تظهر في الأعمال الأدبية، مثل عدم المساواة الاجتماعية وعلاقات السلطة. أما الفرق بين هذه الدراسة ودراستي فهو أنني هنا أقوم بتحليل ما يمثل الهوية، والقمع، والمقاومة للشعب الفلسطيني بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الدراسة تركز أكثر على جانب الهوية الوطنية والصراع الاجتماعي والسياسي.

٣. أحمد فوزي (٢٠٢٢) بعنوان: النقد الاجتماعي في مجموعة قصائد "أنا هذا الحيوان الجامح" لتشيريل أنور (دراسة في علم اجتماع الأدب). هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أشكال النقد الاجتماعي الواردة في قصائد تشيريل أنور. وأظهرت نتائج الدراسة أن هذه القصائد تتضمن نقدًا للواقع الاجتماعي، والظلم، ومختلف القضايا الإنسانية التي يعاني منها المجتمع. وتكمن أوجه التشابه بين دراسة أحمد فوزي وهذه الدراسة في اعتمادهما على منهج علم اجتماع الأدب، كما أن كليهما تتخذان من الشعر مجالاً للتحليل الأدبي، وتسعيان إلى الكشف عن القضايا الاجتماعية التي يعكسها النص الأدبي. أما أوجه الاختلاف، فتتمثل في أن دراسة أحمد فوزي ركزت على تحليل مظاهر النقد الاجتماعي في قصائد تشيريل أنور، بينما تركز هذه الدراسة على تحليل تمثيل الهوية الوطنية الفلسطينية، وأشكال الاضطهاد، ومظاهر المقاومة التي تجسدت في قصيدة "بطاقة هوية" للشاعر الفلسطيني محمود درويش، وذلك في ضوء نظرية إيان وات في علم اجتماع الأدب.

الفصل الثالث

منهجية البحث

أ. موضوع البحث وتنفيذه

١. موضوع البحث

يُعدُّ موضوعُ البحث المحورَ الرئيس الذي تُوجَّه إليه الدراسة في أيِّ عملٍ علمي. وفي هذا البحث، يتمثّل موضوع الدراسة في عملٍ أدبيٍّ شعريٍّ بعنوان بطاقة هوية محمود درويش. وقد تم اختيار هذه القصيدة لما تتضمّنه من دلالات اجتماعية عميقة، ولا سيّما ما يتعلّق بالهوية، والاضطهاد، ونضال الشعب الفلسطيني. وتُعدّ قصيدة بطاقة هوية من الأعمال البارزة في الأدب العربي الحديث، إذ تُجسّد الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه المجتمع الفلسطيني. ومن خلال لغةٍ بسيطةٍ مشحونةٍ بالدلالات، استطاع محمود درويش أن يُعبّر عن التجربة الجماعية لشعبه في مواجهة الظلم وفقدان الهوية. ويُجرى التحليل في هذا البحث من خلال دراسة العناصر المرتبطة بالسياق الاجتماعي للمؤلف، وصورة الواقع الاجتماعي في النص، والوظيفة الاجتماعية للأدب، وذلك بالاعتماد على نظرية اجتماع الأدب عند إيان وات.

٢. وتنفيذه البحث

أمّا وقتُ إجراء هذا البحث فهو كما يلي:

رقم	مراحل البحث	شهر								
		ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس
١	تقديم عنوان البحث	✓								
٢	إعداد مُقترح البحث	✓								
٣	مناقشة خطة البحث مع المشرف		✓							

٤	مناقشة خطة البحث مع المشرف	✓								
٥	مناقشة خطة البحث مع المشرف	✓								
٦	مناقشة خطة البحث مع المشرف	✓								
٧	إجراء ندوة مقترح البحث	✓								
٨	إعداد البحث وكتابته	✓								
٩										
١٠	الإشراف على البحث ومراجعته	✓								

ب. طريقة كتابه البحث

المنهج المتبع في هذا البحث هو منهج البحث المكتبي (الدراسة المكتبية). والدراسة المكتبية هي منهج بحث يُجرى من خلال جمع البيانات والمعلومات من المصادر المتاحة في بيئة المكتبة، مثل الكتب والمجلات والمقالات التي تم التحقق من مصداقيتها (زد، ميستيكا، ٢٠٢٣). وفي هذا البحث سيتم جمع الكتب والمجلات العلمية والنظريات المرتبطة بعلم اجتماع الأدب، وكذلك القصائد التي تم تحليلها وفق منهج علم اجتماع الأدب، وذلك لاتخاذها مراجع في هذا البحث الذي يناقش تحليل علم اجتماع الأدب وفق نظرية إيان وات على قصيدة بطاقي هويتي للشاعر محمود درويش.

ج. تركيز البحث

يُعدّ محور البحث سلسلة من الصياغات المنظّمة للمشكلات التي تُوضّح بوصفها مركزاً أو جوهر النقاش في موضوع البحث. ويُرجى من وجود محور البحث أن يكون البحث ذا تركيز دقيق، بحيث يكون قادراً على جمع البيانات وإجراء تحليلها بما يتوافق مع أهداف البحث. ويركّز هذا البحث على سياق المؤلف الاجتماعي، والأدب بوصفه انعكاساً للمجتمع في قصيدة بطاقي هوية.

د. اجراءات البحث

يستخدم هذا البحث المنهج الوصفي النوعي، مع تقنيات جمع البيانات الآتية:

١. دراسة الوثائق (التوثيقية)

تُعد دراسة الوثائق التقنية الرئيسة في هذا البحث، وهي جمع البيانات من المواد المكتوبة ذات الصلة بموضوع الدراسة. وتشمل البيانات التي تم جمعها ما يأتي:

(١) البيانات الأولية: وتتمثل في نص قصيدة بطاقي هويتي لمحمود درويش، سواء

في نسختها الأصلية باللغة العربية أو في ترجمتها.

(٢) البيانات الثانوية: وتتمثل في الكتب، والمجلات العلمية، والمقالات، ورسائل

البكالوريوس، وأطروحات الماجستير والدكتوراه التي تتناول: نظرية علم

اجتماع الأدب لإيان وات، سيرة محمود درويش وأفكاره، الأوضاع

الاجتماعية والسياسية والتاريخية في فلسطين، الدراسات الأدبية ذات الصلة

بموضوع الهوية والمقاومة. تُستخدم هذه التقنية للحصول على بيانات دقيقة،

وأصيلة، ويمكن الاعتماد عليها علمياً.

٢. تقنية القراءة والتدوين

تُنَفَّذُ تقنية القراءة والتدوين من خلال قراءة نص القصيدة قراءة متأنية ومتكررة

لاستخراج البيانات المتوافقة مع محور البحث. وتشمل خطوات هذه التقنية ما

يأتي:

(١) قراءة القصيدة قراءة مكثفة لفهم معناها العام،

(٢) تحديد الأبيات أو الأسطر أو الألفاظ التي تتضمن عناصر اجتماعية،

(٣) تدوين مقتطفات من القصيدة تُظهر:

أ. تمثيل الواقع الاجتماعي،

ب. رؤية العالم لدى الشاعر،

ج. الوظيفة الاجتماعية للأدب.

تساعد هذه التقنية الباحث في تحديد البيانات النصية ذات الصلة بنظرية

علم اجتماع الأدب لإيان وات.

٣. تقنية تصنيف البيانات

بعد جمع البيانات، تُطبَّق تقنية تصنيف البيانات، أي تنظيم البيانات وتجميعها وفقاً لمحاور البحث. وتُصنَّف البيانات في الفئات الآتية:

- (١) البيانات التي تعكس الواقع الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني،
 - (٢) البيانات التي تُظهر رؤية العالم لدى محمود درويش،
 - (٣) البيانات التي تبيّن الوظيفة الاجتماعية للقصيدة في المجتمع.
- تُسهم هذه التقنية في تسهيل عملية التحليل واستخلاص النتائج بصورة منهجية ومنظمة.



الفصل الرابع

نتائج البحث ومناقشتها

أ. النتائج من التحليل الوصفي

يُعَدُّ التحليل النقدي الوصفي عمليةً تحليليةً تقوم على وصف موضوع البحث استنادًا إلى البيانات التي تم العثور عليها، ثم تقديم تفسير وفهم أعمق لتلك البيانات. وفي الدراسات الأدبية، لا يقتصر التحليل الوصفي على بيان العناصر الواردة في العمل الأدبي، بل يمكن استخدامه أيضًا لفهم العلاقة بين العمل الأدبي والظروف الاجتماعية التي أحاطت بنشأته. ولذلك، تتم عملية التحليل من خلال وصف البيانات الواردة في العمل الأدبي أولاً، ثم ربطها بالنظرية المستخدمة من أجل الوصول إلى فهم أعمق للمعاني والعلاقات الاجتماعية المتضمنة فيه (Miles & Huberman, 2002).

في هذه الدراسة، يُستخدم التحليل النقدي الوصفي لدراسة قصيدة بطاقي هوية للشاعر محمود درويش من منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات. ويجري التحليل من خلال الاهتمام بالبيانات الواردة في القصيدة، ثم ربطها بالحياة الاجتماعية للكاتب والظروف الاجتماعية التي شكّلت الخلفية الاجتماعية للعمل الأدبي. وبذلك، لا يركّز التحليل على ما تعرضه القصيدة فحسب، بل يهتم أيضًا بالخلفية الاجتماعية المرتبطة بظهور القضايا والموضوعات الواردة فيها.

تتجه عملية التحليل في هذه الدراسة إلى جانبين من نظرية إيان وات، وقد تم تحديدهما بوصفهما حدودًا لهذه الدراسة، وهما السياق الاجتماعي للكاتب والعمل الأدبي بوصفه انعكاسًا للمجتمع. ويُستخدم هذان الجانبان لفهم العلاقة بين تجربة محمود درويش وحياته الاجتماعية والقضايا الواردة في قصيدة بطاقي هوية، وكذلك لمعرفة كيفية تمثيل حياة المجتمع الفلسطيني من خلال هذا العمل الأدبي. ثم تُوصف البيانات التي تم العثور عليها في القصيدة وتُفسَّر وتُربط بالسياق الاجتماعي ذي الصلة، للوصول إلى فهم أعمق للعلاقة بين الكاتب والعمل الأدبي والمجتمع.

من خلال هذا التحليل، لا تقتصر المناقشة على وصف مضمون القصيدة من الناحية النصية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى تحليل نقدي للعلاقة بين النص الأدبي والواقع الاجتماعي. ويكتسب ذلك أهمية لأن العمل الأدبي يمكن أن يكون أحد أشكال التعبير عن التجربة الاجتماعية للكاتب، وفي الوقت نفسه يمكن أن يعكس أوضاع المجتمع الذي يمثّل بيئته الحياتية. ومن خلال هذا المنهج، تُفهم قصيدة بطاقي هوية بوصفها عملاً أدبياً يرتبط بالتجربة الاجتماعية لمحمود درويش وبواقع حياة المجتمع الفلسطيني الذي شكّل الخلفية الاجتماعية لنشأة القصيدة.

أظهرت نتائج التحليل النقدي الوصفي في هذه الدراسة، التي تناولت قصيدة بطاقة هوية للشاعر محمود درويش، وجود علاقة وثيقة بين الحياة الاجتماعية للمؤلف ومضمون العمل الأدبي الذي أبدعه. فلم تأت هذه القصيدة بوصفها عملاً أدبياً قائماً بذاته، بل ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتجارب الشاعر الحياتية، وكذلك بالواقع الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني الذي عاش فيه. ويمكن ملاحظة هذه العلاقة من خلال جانبين رئيسيين في نظرية إيان وات في علم اجتماع الأدب، وهما السياق الاجتماعي للمؤلف والأدب بوصفه انعكاساً للمجتمع (Azizah, 2024). ويرتبط هذان الجانبان ارتباطاً وثيقاً، إذ إن التجارب الاجتماعية التي عاشها المؤلف تُعدُّ أحد المصادر الرئيسة لظهور القضايا الاجتماعية في العمل الأدبي.

في جانب السياق الاجتماعي للمؤلف، تُظهر حياة محمود درويش أن التجارب الاجتماعية كان لها تأثير كبير في تشكيل رؤيته للمجتمع الذي يعيش فيه. فقد نشأ محمود درويش بوصفه فرداً من المجتمع الفلسطيني الذي شهد تحولات جذرية في حياته نتيجة الصراع والاحتلال. وكانت تجربة فقدان الأرض، والتهجير من الوطن، وتغيّر الحياة الاجتماعية، وقضية الهوية، من أبرز المحطات التي شكّلت مسيرته الحياتية. ولم تبق هذه التجارب في حدود الخبرة الشخصية، بل حوّلها إلى أفكارٍ وصورٍ اجتماعية جسّدها في أعماله الأدبية. ويتجلى ذلك في تناول القصيدة لقضايا الهوية، والأرض الموروثة عن الأجداد، والحياة الأسرية، والعمل، والفقر، والنضال، كما يظهر بوضوح في قصيدة بطاقة هوية.

وتُظهر هذه النتائج أن المكانة الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه فلسطينياً ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوع الرئيس الذي بُنيت عليه القصيدة. فاستعمال الشاعر للشخصية الغنائية التي تُعرّف نفسها بأنها عربي فلسطيني، وتُثبت هويتها من خلال

بطاقة الهوية، يُجسّد حالة إنسان يعيش في بيئة اجتماعية تُوضع فيها هويته موضع تساؤل دائم. ولا تقتصر الهوية في هذه القصيدة على كونها اسمًا أو وسيلةً للتعريف بالشخص، بل تتجاوز ذلك لتعبّر عن وجود الإنسان بوصفه فردًا ينتمي إلى أمةٍ ومجتمعٍ معينين. ومن ثمّ، فإن تأكيد الهوية الوارد في القصيدة يمكن فهمه على أنه تصويرٌ لقضية اجتماعيةٍ أوسع، تتمثل في واقع المجتمع الفلسطيني الذي يسعى إلى الحفاظ على الاعتراف بوجوده وهويته الوطنية.

كما يُعدّ جانبُ الأيديولوجيا الاجتماعية للمؤلف من النتائج المهمة التي توصّلت إليها هذه الدراسة. فقد أسهمت حياة محمود درويش في تشكيل رؤية ترى أن الوطن، والهوية، والحرية، والعدالة، تحتل مكانةً جوهرية في حياة المجتمع الفلسطيني. وقد تجلّت هذه الرؤية في القصيدة من خلال تصوير قضية فقدان أرض الأجداد ورفض الواقع الذي أدّى إلى حرمان الشعب الفلسطيني من فضائه المعيشي. ولم تُصوّر الأرض في القصيدة على أنها مجرد ممتلكات ذات قيمة اقتصادية، بل عُرضت بوصفها رمزًا يرتبط بتاريخ الأسرة، والهوية، والحياة الاجتماعية، ووجود الأمة. ويظهر ذلك أن الأيديولوجيا الاجتماعية للمؤلف تتجلى في موقفه الداعي إلى الحفاظ على الهوية ورفض الظلم وعدم العدالة.

كما أسهمت الخلفية الاجتماعية والثقافية لمحمود درويش في تعزيز العلاقة بين المؤلف والعمل الأدبي الذي أبدعه. ويظهر تصوير الأسرة الفلاحية وعلاقتها بأرض الأجداد في القصيدة أن الحياة الزراعية كانت تمثل جزءًا مهمًا من الخلفية الاجتماعية التي نشأ فيها الشاعر. ولم تكن الأرض تؤدي وظيفة المسكن أو مصدر الرزق فحسب، بل كانت تحمل أيضًا قيمةً ثقافية، إذ تُعد جزءًا من الحياة الموروثة عبر الأجيال. وعندما تُسلب هذه الأرض، فإن المفقود لا يقتصر على مصدر الدخل، بل يشمل أيضًا جزءًا من الفضاء الاجتماعي والذاكرة الجماعية للمجتمع. وتُبيّن هذه النتيجة أن التجربة الاجتماعية والثقافية للمؤلف كان لها أثرٌ واضح في الكيفية التي صوّرت بها القصيدة علاقة المجتمع الفلسطيني بوطنه وأرضه.

كما أن المكانة الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه شاعرًا كان لها ارتباطٌ وثيق بظهور قصيدة بطاقة هوية. فلم يقتصر دوره على تقديم تجربته الشخصية، بل جعل من العمل الأدبي وسيلةً للتعبير عن تحارب المجتمع الفلسطيني بصورة أوسع. وقد أسهمت هذه المكانة في جعل قصائده وثيقة الصلة بالواقع الاجتماعي للشعب

الفلسطيني. وتحولت التجربة الشخصية للشاعر إلى تصويرٍ للتجربة الجماعية، ولا سيما فيما يتعلق بالهوية، وفقدان الأرض، والظلم، والنضال من أجل الحفاظ على الكرامة. ومن ثمّ، فإن المكانة الاجتماعية للمؤلف داخل مجتمعه كان لها أثرٌ في الكيفية التي عُرضت بها القضايا الاجتماعية من خلال العمل الأدبي.

كما يُظهر جانبُ المجتمع المستهدف من القراء أن القصيدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاجتماعي للمجتمع الذي تتوجه إليه. ويمكن فهم قصيدة بطاقة هوية على أنها عملٌ أدبي يخاطب المجتمع الفلسطيني، ويعبّر عن التجارب التي يعيشها، ولا سيما ما يتعلق بقضية الهوية وفقدان الأرض. وقد أسهمت اللغة والقضايا التي تناولتها القصيدة في تحويل تجربة الفرد إلى تجربة جماعية يمكن أن يتشاركها أفراد المجتمع. ويُبيّن ذلك أن المؤلف لم يقتصر على التعبير عن تجربته الشخصية، بل حوّل هذه التجربة إلى صوتٍ يُمثّل المجتمع ويُعبّر عن حياة أبناء الشعب الفلسطيني الذين يشتركون في ظروفٍ وتجارب اجتماعية متشابهة.

ومن النتائج الأخرى التي كشفت عنها الدراسة في سياق السياق الاجتماعي للمؤلف وجودُ علاقةٍ وثيقة بين حياته الاجتماعية واحترافيته في مجال الإبداع الأدبي بوصفه شاعراً. فقد أظهرت أعماله الأدبية اتساقاً واستمراراً في تناول قضايا المجتمع الفلسطيني. ولم يقتصر دور الشعر عند محمود درويش على تحقيق الجمال الفني واللغوي، بل اتخذ وسيلةً للتعبير عن التجارب الاجتماعية، والحفاظ على الذاكرة الوطنية، وإيصال صوت الهوية الفلسطينية. ويُبيّن ذلك أن النشاط الأدبي لمحمود درويش كان وثيق الصلة بالواقع الاجتماعي الذي أحاط به، وأن تجربته الإبداعية ارتبطت ارتباطاً مباشراً بالقضايا الاجتماعية والإنسانية التي عاشها مجتمعه.

أما النتائج المتعلقة بالجانب الثاني، وهو الأدب بوصفه انعكاساً للمجتمع، فقد أظهرت أن قصيدة بطاقة هوية تُصوّر مختلف الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الفلسطيني. وتشمل هذه الأوضاع قضايا الهوية، والظروف الاقتصادية، وعلاقة المجتمع بالأرض، والتمييز، وفقدان المسكن، والسعي إلى الحفاظ على الحقوق والكرامة. ولا تُقدّم القصيدة صورةً شاملة لحياة المجتمع على هيئة تقرير تاريخي، وإنما تُجسّد الواقع الاجتماعي من خلال تجربة الشاعر ورؤيته الخاصة. ويتفق ذلك مع رأي إيان وات الذي يرى أن الأدب بوصفه انعكاساً للمجتمع لا يعني أن

يكون العمل الأدبي مطابقاً للواقع مطابقةً تامة، وإنما هو ثمرة ملاحظات المؤلف، وخبراته، وتأويله للواقع الاجتماعي المحيط به (Tyas & Parmin, 2023)

ويُعدّ انعكاسُ هوية المجتمع الفلسطيني من أبرز النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة. إذ إن توظيف الهوية العربية الفلسطينية في القصيدة يدل على أن الهوية تُشكّل قضيةً محورية في حياة المجتمع الذي تصوّره القصيدة. فالهوية لا ترتبط بالشخص بوصفه فرداً فحسب، بل ترتبط أيضاً بالوطن، والأمة، والتاريخ، والوجود الاجتماعي. كما أن الإشارة إلى بطاقة الهوية تُجسّد واقعاً يُضطر فيه الإنسان إلى إثبات هويته والتأكيد عليها في مواجهة السلطة. ومن ثمّ، فإن هذه القصيدة تُصوّر واقعاً اجتماعياً لا يقتصر على معاناة فقدان المسكن، بل يمتد ليشمل قضية الاعتراف بوجود المجتمع الفلسطيني وهويته بوصفه شعباً له حقه في الوجود.

كما تجلّى انعكاسُ الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الفلسطيني من خلال تصوير العمل ومتطلبات الحياة اليومية. فقد صُوّرت الشخصية الغنائية بوصفها شخصاً يعمل من أجل تلبية احتياجات أسرته. ويبرز تصوير العمل، والطعام، والملبس، ومتطلبات التعليم، واقع مجتمع يعيش في ظروف اقتصادية محدودة. وتدل هذه الأوضاع على أن الصراع والاحتلال لم يقتصر على التأثير في الجوانب السياسية فحسب، بل امتد أثرهما إلى تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع. ومن ثمّ، فإن القضية الاقتصادية في القصيدة تُعدّ جزءاً من تصوير حياة عامة الناس الذين يواصلون السعي إلى توفير احتياجات أسرهم رغم الظروف الاجتماعية الصعبة التي يعيشونها.

كما أن علاقة المجتمع بالأرض تُعدّ من النتائج التي لا يمكن فصلها عن قضية الهوية. فالأرض التي صُوّرت بوصفها أرض الأجداد تدل على أن المجتمع الفلسطيني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأرض التي يعيش ويعمل فيها. ولا تقتصر قيمة الأرض على كونها مصدراً للرزق، بل تحمل أيضاً قيمةً اجتماعيةً وثقافية، لارتباطها بالأسرة، والأجداد، وتاريخ المجتمع. ولذلك، فإن اغتصاب الأرض لا يفهم على أنه مجرد فقدان للممتلكات، بل يُعدّ خسارةً أوسع تمتد آثارها إلى الحياة الاجتماعية، والثقافة، والذاكرة الجماعية للمجتمع.

كما أظهرت النتائج المتعلقة بقضية الظلم أن القصيدة تُجسّد واقع مجتمع يعيش في ظل أوضاع اجتماعية غير متكافئة. فقد صُوّرت الشخصية الغنائية وهي

مضطرة إلى توضيح هويتها، وعملها، وأسرتها، ووجودها أمام جهة تمتلك السلطة. ويعكس هذا الوضع وجود علاقة بين مجتمع خاضع للهيمنة وطرف يمتلك القوة والنفوذ. ولم تُصوّر القصيدة الظلم من خلال الأحداث الكبرى فحسب، بل جسّدته أيضًا عبر تفاصيل الحياة اليومية. وقد جعل هذا الأسلوب القضايا الاجتماعية الواردة في القصيدة أكثر قرينًا من الواقع الإنساني، لأنها عُرضت من خلال تجربة فردية تُعبّر في الوقت نفسه عن واقع اجتماعي أوسع يعيشه المجتمع الفلسطيني.

ومن منظور نقدي، تُظهر نتائج الدراسة أن قصيدة بطاقة هوية تُجسّد علاقة وثيقة بين التجربة الشخصية لمحمود درويش والواقع الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني. فلم تكن تجربة الشاعر في فقدان الأرض، والهوية، والحياة الاجتماعية مجرد خلفية لكتابة القصيدة، بل أسهمت أيضًا في تشكيل الطريقة التي صوّر بها المجتمع الفلسطيني في عمله الشعري. وقد تحولت التجربة الفردية إلى تجربة جماعية، بحيث يمكن فهم الشخصية الغنائية في القصيدة ليس بوصفها تمثيلًا لمحمود درويش وحده، وإنما بوصفها تجسيدًا للمجتمع الفلسطيني الذي عاش ظروفًا وقضايا اجتماعية مماثلة.

وتبرز هذه العلاقة التطبيق العملي لنظرية إيان وات. ففي جانب السياق الاجتماعي للمؤلف، كانت حياة محمود درويش أحد المصادر الرئيسة التي أسهمت في تفسير ظهور موضوعات الهوية، والأرض، والنضال في القصيدة. أما في جانب الأدب بوصفه انعكاسًا للمجتمع، فإن مضمون القصيدة يُقدّم صورة واضحة عن الواقع الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني، ولا سيما ما يتعلق بقضايا الهوية، والظروف الاقتصادية، وفقدان الأرض، والتمييز، والنضال من أجل الحفاظ على الكرامة. ويُظهر هذان الجانبان أن العمل الأدبي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع الذي نشأ فيه، ويُجسّد في الوقت نفسه الواقع الاجتماعي الذي يحيط بمؤلفه.

وبناءً على ذلك، يمكن صياغة النتيجة الرئيسة لهذه الدراسة في أن قصيدة بطاقة هوية تُعدّ عملاً أدبيًا نشأ من التفاعل بين التجربة الاجتماعية للمؤلف والواقع الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني. فلم يقتصر محمود درويش على التعبير عن مشاعره الشخصية، بل حوّل تجاربه الاجتماعية إلى عملٍ أدبي يُصوّر واقع المجتمع الفلسطيني. وقد شكّلت قضايا الهوية، والأرض، والأسرة، والعمل، والفقر، والظلم

عناصر اجتماعية مترابطة أسهمت في بناء المعنى العام للقصيدة. وتبين هذه القصيدة أن تجربة المؤلف الفردية يمكن أن تتحول إلى صورة تُعبر عن التجربة الجماعية لمجتمع بأكمله (Wiyatmi, 2013)

كما أظهرت نتائج الدراسة أن منهج علم اجتماع الأدب عند إيان وات يسهم في الكشف عن دلالات القصيدة على نحو أكثر عمقاً. فقراءة القصيدة لا تقتصر على الوقوف عند جمال اللغة أو معاني الأبيات، بل تتجه إلى الكشف عن العلاقة بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي الذي نشأ في ظله. ومن هذا المنطلق، يمكن فهم قصيدة بطاقة هوية بوصفها عملاً أدبياً يجسد التجربة الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني، وفي الوقت نفسه يُعبر عن رؤية محمود درويش تجاه قضايا الهوية، والوطن، والظلم. وتنسجم هذه النتيجة مع هدف الدراسة الذي اقتصر على تحليل جانبين رئيسيين من نظرية إيان وات، وهما السياق الاجتماعي للمؤلف والأدب بوصفه انعكاساً للمجتمع.

وبوجه عام، تُظهر نتائج التحليل النقدي الوصفي أن هناك علاقة متبادلة بين الحياة الاجتماعية لمحمود درويش والواقع الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني في تشكيل قصيدة بطاقة هوية. فقد أسهمت البيئة الاجتماعية، وتجربة فقدان الأرض، وقضية الهوية، والحياة الزراعية للمجتمع الفلسطيني، إلى جانب الأوضاع الاقتصادية والسياسية، في التأثير في مضمون القصيدة. ثم أعادت القصيدة تجسيد هذا الواقع الاجتماعي من خلال اللغة الأدبية، فتحوّلت التجربة الفردية إلى تصوير للحياة الاجتماعية للمجتمع. وهذا ما يُبين أن قصيدة بطاقة هوية لا تقتصر على قيمتها الجمالية بوصفها عملاً أدبياً، بل تحمل أيضاً قيمة اجتماعية، إذ تُجسّد واقع المجتمع الفلسطيني في المرحلة التاريخية التي شهدت نشأة هذه القصيدة.

ب. عرض البيانات التحليلي

١. الظروف الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه مؤلفاً كانت خلفية لظهور

قصيدة بطاقة هوية

تُعَدُّ نظرية إيان وات في علم اجتماع الأدب السياق الاجتماعي للمؤلف أحد الجوانب الأساسية في فهم نشأة العمل الأدبي. ويرى إيان وات أن العمل الأدبي لا ينشأ في فراغ، وإنما يتأثر بالظروف الاجتماعية التي تحيط بحياة المؤلف.

ولذلك، فإن الفهم العميق لدلالة العمل الأدبي يقتضي دراسة مختلف الجوانب الاجتماعية في حياة المؤلف التي أسهمت في عملية إنتاج ذلك العمل. ولا يقتصر السياق الاجتماعي للمؤلف على خبراته الشخصية فحسب، بل يشمل أيضًا مكانته الاجتماعية، وأيديولوجيته، وخلفيته الاجتماعية والثقافية، وعلاقته بالمجتمع، فضلًا عن ظروفه الاقتصادية ومهنته بوصفه أديبًا.

وُعدَّ قصيدة بطاقة هوية للشاعر محمود درويش إحدى الأعمال الأدبية التي وُلدت من التجربة الاجتماعية للمؤلف بوصفه فلسطينيًا عاش تحت الاحتلال الإسرائيلي. فقد شكّلت تجربة التهجير، وفقدان الوطن، والتمييز، والنضال من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، خلفيةً اجتماعيةً قويةً في عملية إبداع هذه القصيدة. ولذلك، لم تعد قصيدة بطاقة هوية مجرد عمل أدبي ذي قيمة جمالية، بل أصبحت أيضًا تمثيلًا للتجربة الاجتماعية وكفاح الشعب الفلسطيني.

وانطلاقًا من جوانب السياق الاجتماعي للمؤلف التي طرحها إيان وات، يحلل هذا البحث الظروف الاجتماعية لمحمود درويش من خلال سبعة مؤشرات، وهي: (١) المكانة الاجتماعية للمؤلف، (٢) الأيديولوجية الاجتماعية للمؤلف، (٣) الخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف، (٤) المكانة الاجتماعية للمؤلف في المجتمع، (٥) المجتمع المستهدف من القراء، (٦) مهنة الأديب أو الأساس الاقتصادي للإنتاج الأدبي، و(٧) الاحتراف في الكتابة الأدبية. وتُستخدم هذه المؤشرات السبعة للكشف عن الكيفية التي أسهمت بها الظروف الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه مؤلفًا في نشأة قصيدة بطاقة هوية، بما يتيح فهم العلاقة بين حياة المؤلف وعمله الأدبي فهماً أكثر شمولاً. (Wiyatmi, 2013)

واستنادًا إلى نتائج تتبع مختلف المصادر والمراجع المتعلقة بحياة محمود درويش، تم الحصول على مجموعة من المعلومات التي تُصوّر الظروف الاجتماعية للمؤلف. ثم جرى تحليل هذه المعلومات في ضوء جوانب السياق الاجتماعي للمؤلف وفقًا لنظرية إيان وات، والتي تتكون من سبعة مؤشرات، وهي: المكانة الاجتماعية للمؤلف، والأيديولوجية الاجتماعية للمؤلف، والخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف، والمكانة الاجتماعية للمؤلف في المجتمع، والمجتمع المستهدف من القراء، ومهنة الأديب أو الأساس الاقتصادي للإنتاج الأدبي، والاحتراف في

الكتابة الأدبية. ويُعرض تحليل هذه المؤشرات السبعة بصورة منهجية على النحو الآتي:

أ) المكانة الاجتماعية للمؤلف

تُعدُّ المكانة الاجتماعية للمؤلف المنزلة أو الموقع الذي يشغله الكاتب في المجتمع، والذي يؤثر في نظرتَه إلى الواقع الاجتماعي وفي عملية إبداعه الأدبي. ويرى إيان وات أن المؤلف ليس فردًا منفصلاً عن المجتمع، بل هو جزء من الحياة الاجتماعية، ويتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، وبخبراته الحياتية، وعمله، وتعليمه، وظروفه الاقتصادية. ومن ثمَّ، فإن العمل الأدبي الذي يُنتجه لا يُعدُّ مجرد نتاج للخيال، وإنما هو أيضًا استجابة المؤلف لمختلف الخبرات الاجتماعية التي عاشها. ولذلك، فإن الأعمال الأدبية كثيرًا ما تعكس التجارب الاجتماعية التي مرَّ بها المؤلف، كما يظهر ذلك في عملية إبداع قصيدة بطاقة هوية (Faruk, 2016).

سجل !

أنا عربي

وَرَقْمُ بِطَاقَتِي خَمْسُونَ أَلْفَ

وَأَطْفَالِي ثَمَانِيَّةٌ

وَتَأْسِعُهُمْ سَيِّئَاتِي بَعْدَ صَيْفٍ !

فَهَلْ تَغْضَبُ؟

يدل هذا المقطع على المكانة الاجتماعية للمتكلم بوصفه عربيًا فلسطينيًا يعيش تحت نظام الإدارة التي فرضها الاحتلال. وتُعدُّ العبارة سجل! أنا عربي تأكيدًا على الهوية التي يطالب المتكلم السلطة القائمة بالاعتراف بها. ويرتبط هذا التأكيد ارتباطًا وثيقًا بالمكانة الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه شاعرًا فلسطينيًا تعرَّض للتهجير والتمييز عقب نكبة عام ١٩٤٨. فقد فقد درويش مسقط رأسه وعاش في ظل الاحتلال الإسرائيلي، الأمر الذي دفعه إلى تجسيد هذه التجربة الاجتماعية في قصيدته من خلال شخصية المتكلم. ومن منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات، فإن المكانة الاجتماعية للمؤلف تؤثر في نشأة العمل الأدبي، لأن التجارب الحياتية للمؤلف أصبحت أساسًا في تشكيل موضوعي الهوية والنضال في قصيدة بطاقة هوية.

وعلاوةً على المقطع الأول، تتجلى المكانة الاجتماعية للمؤلف أيضًا في المقطع الثالث (Fazabinal Alim. 2020).

أبي .. مِنْ أُسْرَةِ الْمُخْرَاثِ

لَا مِنْ سَادَةٍ جُحِبْ

وَجَدِّي .. كَانَ فلاحاً

بِلا حَسَبٍ .. وَلَا نَسَبٍ !

يُصوِّر هذا المقطع الأصل الاجتماعي للمتکلم، إذ ينتمي إلى أسرة بسيطة تعمل بالزراعة. ويتوافق ذلك مع الخلفية الاجتماعية لمحمود درويش الذي نشأ في بيئة ريفية فلسطينية. ومن خلال هذا التصوير، يؤكد درويش أن كرامة الإنسان لا تُقاس بانتمائه إلى أسرة نبيلة أو بمكانته الطبقية، وإنما تُبنى على قيمة العمل والارتباط بالأرض. ويتوافق هذا التحليل مع مفهوم سوسيولوجيا المؤلف عند إيان وات، الذي يرى أن خلفية المؤلف الحياتية ومكانته الاجتماعية تؤثران في القيم والأفكار التي يجسدها في العمل الأدبي.

(ب) لأيديولوجية الاجتماعية للمؤلف

يرى إيان وات أن الأيديولوجية الاجتماعية للمؤلف تتمثل في نظرته إلى الحياة، ومعتقداته، ومواقفه تجاه مختلف القضايا الاجتماعية السائدة في المجتمع. وتؤثر هذه الأيديولوجية في الطريقة التي ينظر بها المؤلف إلى الواقع الاجتماعي، ثم تتجسد في أعماله الأدبية. ومن ثم، فإن العمل الأدبي لا يُعد وسيلةً للتعبير الفني فحسب، بل يُعد أيضًا وسيلةً لنقل أفكار المؤلف، ونقده، وموقفه من الأوضاع الاجتماعية التي يواجهها (Wiyatmi, 2013).

ويُعرف محمود درويش بأنه شاعر فلسطيني يحمل أيديولوجيةً قوميةً راسخة. فقد أسهمت تجربته الحياتية بوصفه أحد ضحايا التهجير الذي أعقب نكبة عام ١٩٤٨ في تشكيل رؤيته تجاه أهمية الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية. ولم يكن الوطن بالنسبة إلى درويش مجرد مساحة جغرافية، بل كان رمزًا للكرامة، والتاريخ، ووجود الأمة. ولذلك، تناولت معظم أعماله الأدبية موضوعات الهوية الوطنية، والنضال، والحرية، ورفض الاستعمار.

وتتجلى هذه الأيديولوجية الاجتماعية في المقطع الرابع من قصيدة بطاقة

هوية: (Fazabinal Alim. 2020).

سجل !

أنا عَرِي

سَلَّيْتُ كروم أجدادي

وَأَرْضاً كُنْتُ أَفْلَحُهَا

أنا وَجَمِيعُ أولادي

وَلَمْ تَتْرُكْ لَنَا .. وَلِكُلِّ أَحْفَادِي

سوى هذي الصخو

يعكس هذا المقطع أيديولوجية محمود درويش الرافضة لجميع أشكال الاستعمار واغتصاب حقوق الشعب الفلسطيني. فالبارة سلبت كروم أجدادي وأرضاً كنت أفلحها تُصَوِّرُ فقدان الأرض الموروثة التي كانت، عبر سنوات طويلة، مصدرًا للحياة والرزق بالنسبة إلى المجتمع الفلسطيني. ولا تقتصر دلالة الأرض في هذه القصيدة على قيمتها الاقتصادية، بل تتجاوز ذلك لتصبح رمزًا للهوية، والتاريخ، واستمرار وجود الأمة. وتزداد أيديولوجية المقاومة وضوحًا في خاتمة القصيدة، كما في الأبيات الآتية: (Fazabinal Alim, 2020).

إذن !

سَجِّل .. بِرَأْسِ الصُّفْحَةِ الأولى

أنا لَا أَكْرَهُ النَّاسَ

وَلَا أَسْطُو عَلَى أَحَدٍ

ولكني .. إذا ما جُعْتُ

أَكُلُ لَحْمَ مُعْتَصِي

حذار

حذار

مِنْ جُوعِي

وَمِنْ غَضْبِي

تُظهر هذه الأبيات أن محمود درويش لا يدعو إلى كراهية الآخرين، وإنما يؤكد أن لكل ظلم حدودًا، وأن للشعوب التي سُلِبَتْ حقوقها الحق في مقاومة الظلم دفاعًا عن كرامتها ووطنها. ومن ثم، فإن الأيديولوجية التي تعكسها هذه

القصيدة ليست أيديولوجية الكراهية، وإنما أيديولوجية مقاومة الاستعمار، والدفاع عن العدالة، والنضال من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية. واستنادًا إلى منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات، ترتبط الأيديولوجية الاجتماعية لمحمود درويش ارتباطًا وثيقًا بإبداع قصيدة بطاقة هوية. فقد أسهمت تجربته بوصفه فلسطينيًا فقد وطنه في تشكيل رؤيته الفكرية، فأصبحت هذه القصيدة وسيلةً للتعبير عن الهوية الوطنية، ورفض الاستعمار، والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني. وبذلك، تُعد الأيديولوجية الاجتماعية للمؤلف أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في تشكيل موضوع القصيدة، ودلالاتها، ورسالتها الفكرية.

ج) الخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف

يرى إيان وات أن الخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف تُعدُّ أحد العناصر الأساسية في السياق الاجتماعي للمؤلف. وتشمل هذه الخلفية البيئة التي وُلد فيها المؤلف ونشأ فيها، والعادات والتقاليد، والقيم الثقافية، والخبرات الاجتماعية التي أسهمت في تشكيل نظرته إلى الحياة. وتؤثر هذه العوامل في الموضوعات، والمضمون، والرسائل التي يعبر عنها العمل الأدبي (Wiyatni, 2013).

وُلد محمود درويش في ١٣ مارس ١٩٤١ في قرية البروة بمنطقة الجليل في فلسطين، ونشأ في مجتمع زراعي يعتز بقيم الأسرة، وحب الأرض، والحفاظ على التقاليد الثقافية العربية الفلسطينية. وكان المجتمع الفلسطيني يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأنشطة الزراعية، ولا سيما زراعة أشجار الزيتون والعنب وغيرها من المحاصيل الزراعية. غير أن هذه الحياة الاجتماعية والثقافية تغيّرت جذريًا بعد نكبة عام ١٩٤٨، حين دُمّرت قرية البروة، وأُجبر سكانها على مغادرة أرضهم. وقد تركت تجربة فقدان الأرض، والوطن، والحياة الاجتماعية أثرًا عميقًا في رؤية محمود درويش للحياة وفي تكوينه بوصفه شاعرًا. وتتجلى هذه الخلفية الاجتماعية والثقافية في المقطع الثالث من قصيدة بطاقة هوية: (Fazabinal Alim, 2020).

أبي .. مِنْ أُسْرَةِ الْمِحْرَاثِ

لَا مِنْ سَادَةٍ تُحِبُّ

وَجَدِّي .. كَانَ فلاحاً

بِلا حَسَبٍ .. وَلَا نَسَبٍ !

يُظهر هذا المقطع أن المتكلم ينتمي إلى أسرةٍ من الفلاحين تعيش حياةً بسيطة. ويعكس ذكر الأب والجد بوصفهما فلاحين الخلفية الاجتماعية والثقافية لمحمود درويش الذي نشأ في المجتمع الزراعي الفلسطيني. ففي الثقافة الفلسطينية لا تُعد الأرض مصدرًا للرزق فحسب، بل تمثل أيضًا رمزًا للهوية، وإراثًا للأجداد، وأساسًا لاستمرار حياة المجتمع. ولذلك، فإن مهنة الفلاحة تحمل دلالةً أوسع من كونها مجرد وسيلة لكسب العيش. كما تتجلى الخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف أيضًا في المقطع الرابع من القصيدة:

سَلَبْتُ كروم أجدادي

وَأَرْضًا كُنْتُ أَفْلَحُهَا

أنا وَجَمِيعُ أولادي

يعكس هذا المقطع عمق العلاقة التي تربط المجتمع الفلسطيني بأرض الأجداد. فالتعبير كروم أجدادي يدل على أن الأرض تُعد جزءًا من الهوية الثقافية التي تنتقل من جيل إلى جيل. ولا يقتصر أثر اغتصاب الأرض على الخسائر الاقتصادية، بل يمتد إلى فقدان موطن الحياة، واندثار التقاليد، وتحديد القيم الثقافية للمجتمع الفلسطيني. ومن خلال هذه التجربة، قدّم محمود درويش قصيدةً تُجسّد معاناة الشعب الفلسطيني، وفي الوقت نفسه تُسهم في الحفاظ على الذاكرة الجماعية المرتبطة بالوطن.

واستنادًا إلى منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات، كان للخلفية الاجتماعية والثقافية لمحمود درويش أثرٌ بالغ في إبداع قصيدة بطاقة هوية. فقد شكّلت البيئة الزراعية، والحياة الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني، وتجربة فقدان الأرض نتيجة الاحتلال الإسرائيلي، المصادر الرئيسة التي استلهم منها الشاعر هذه القصيدة. ومن ثم، فإن بطاقة هوية لا تُعد عملاً أدبيًا ذا قيمة جمالية فحسب، بل تمثل أيضًا تجسيدًا للثقافة، والتاريخ، والهوية الوطنية للشعب الفلسطيني.

(د) المجتمع المستهدف

يرى إيان وات أن المجتمع المستهدف يُعد أحد الجوانب المهمة في السياق الاجتماعي للمؤلف، ويرتبط بالفئة القرائية أو المجتمع الذي يوجّه إليه العمل الأدبي. فالمؤلف لا يبدع العمل الأدبي بوصفه وسيلة للتعبير عن ذاته فحسب، بل يجعله

أيضًا وسيلةً للتواصل من أجل نقل الأفكار، والنقد، والرسائل إلى فئة معينة من المجتمع. ولذلك، فإن مضمون العمل الأدبي غالبًا ما يتوافق مع الظروف الاجتماعية للمجتمع الذي يُوجّه إليه. (Wiyatmi, 2013)

وفي قصيدة بطاقة هوية، يوجّه محمود درويش خطابه في المقام الأول إلى الشعب الفلسطيني. وتهدف هذه القصيدة إلى إيقاظ وعي الفلسطينيين بضرورة التمسك بهويتهم الوطنية، وكرامتهم، وحبهم لوطنهم، رغم ما يعيشونه تحت الاحتلال الإسرائيلي. كما يوجّه الشاعر قصيدته إلى المجتمع العربي وإلى المجتمع الدولي، ليطلعوا على الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني من اضطهاد وحرمان من حقوقه في أرضه. ويتجلى المجتمع المستهدف في المقطع الأول من القصيدة:

سجل !

أنا عربي

وَرَقْمُ بِطَاقَتِي خَمْسُونَ أَلْفَ

تشير هذه الأبيات إلى أن محمود درويش يخاطب جهةً تُشكّك في هوية الشعب الفلسطيني. فالفعل سجل هو صيغة أمر تدل على وجود مخاطب، وهو السلطة التي تفرض سيطرتها، كما يدعو القارئ في الوقت نفسه إلى مشاهدة الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون. ومن خلال هذا النداء، يؤكد درويش أن الهوية الفلسطينية لا يمكن محوها، مهما كانت سياسات الاحتلال أو الإجراءات السياسية المفروضة. كما يظهر الهدف من توجيه القصيدة في المقطع الأخير، حيث يقول:

إذن !

سَجِّل .. بِرَأْسِ الصُّفْحَةِ الْأُولَى

أَنَا لَا أَكْرَهُ النَّاسَ

وَلَا أَسْطُو عَلَى أَحَدٍ

تكشف هذه الأبيات أن محمود درويش يريد أن يبيّن للقراء أن نضال الشعب الفلسطيني لا يقوم على كراهية الآخرين، ولا على الاعتداء على حقوقهم، وإنما ينبع من الرغبة في تحقيق العدالة والدفاع عن الحق في الوطن. ومن ثم، فإن هذه القصيدة لا تستهدف الشعب الفلسطيني وحده بوصفها مصدرًا لتعزيز روح الصمود، بل تتوجه أيضًا إلى المجتمع الدولي، ليدرك أن

القضية الفلسطينية ليست مجرد نزاع سياسي، وإنما هي قضية إنسانية تتعلق بالهوية والحقوق الأساسية للشعوب.

واستنادًا إلى منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات، فإن المجتمع المستهدف في قصيدة بطاقة هوية يشمل الشعب الفلسطيني، والمجتمع العربي، والمجتمع الدولي. ومن خلال هذه القصيدة، يسعى محمود درويش إلى ترسيخ الوعي الجماعي بأهمية الحفاظ على الهوية الوطنية، كما يدعو المجتمع الدولي إلى إدراك معاناة الشعب الفلسطيني. ولذلك، فإن قصيدة بطاقة هوية لا تقتصر على قيمتها الجمالية بوصفها عملاً أدبيًا، بل تؤدي أيضًا وظيفة بوصفها وسيلة للتواصل الاجتماعي تنقل رسالة إنسانية ورسالة نضالية.

ويتفق هذا التحليل مع نظرية إيان وات؛ لأنه يركز على الفئة القرائية التي قصدها المؤلف، وليس على مضمون القصيدة في حد ذاته، وهو ما يميزه عن تحليل السياق الاجتماعي للمؤلف أو المضمون الأدبي.

(هـ) مهنة الأديب (الأساس الاقتصادي للإنتاج الأدبي)

يرى إيان وات أن مهنة الأديب تُعدُّ أحد جوانب السياق الاجتماعي للمؤلف، وترتبط بمصدر دخله وظروفه الاقتصادية. ويهدف هذا الجانب إلى معرفة ما إذا كانت الكتابة الأدبية تمثل المهنة الرئيسة للمؤلف أم مجرد عمل جانبي، وكذلك بيان مدى تأثير ظروفه الاقتصادية في عملية إنتاج العمل الأدبي (Wiyatmi, 2013).

لم يكن محمود درويش معروفًا بوصفه شاعرًا فحسب، بل عمل أيضًا صحفيًا، ومحررًا، وكاتبًا، وأحد الشخصيات الثقافية البارزة في فلسطين. وقد تولّى رئاسة تحرير عدد من المجلات الأدبية والثقافية، من أبرزها مجلة الكرمل، كما واصل الكتابة في العديد من الصحف العربية. وإلى جانب دخله من عمله ككاتب ومحرر، كان يُدعى باستمرار لإلقاء قصائده في مختلف الملتقيات الأدبية الدولية. ومن ثم، أصبحت الكتابة الأدبية جزءًا أساسيًا من مصدر رزقه، وفي الوقت نفسه وسيلةً لنضاله في الدفاع عن قضايا الشعب الفلسطيني. وينعكس ذلك في قصيدة بطاقة هوية، ولا سيما في المقطع الثاني: (Fazabinal Alim, 2020).

وَأَعْمَلُ مَعَ رِفَاقِ الْكَذْحِ فِي مَحَجَرٍ

وَأَطْفَالِي ثَمَانِيَّةً
أَسْأَلُ هُمْ رَغِيفَ الْخُبْزِ ،
وَالْأَنْوَابَ وَالْدَّفْتَرِ
مِنَ الصُّخْرِ
وَلَا أَتَوَسَّلُ الصَّدَقَاتِ مِنْ بَابِكَ

وعلى الرغم من أن المتكلم في هذه القصيدة يُصوّر على أنه عامل في حجر، فإن هذه الصورة تُعد رمزًا لحياة المجتمع الفلسطيني الذي يكافح بجدّ لتأمين متطلبات الحياة في ظل مختلف أشكال الحرمان. ومن خلال شخصية المتكلم، يُبرز محمود درويش قيمة العمل الجاد، والاستقلال، وكرامة الإنسان. كما يعكس ذلك موقف المؤلف الذي ينظر إلى الأدب بوصفه وسيلةً للدفاع عن حقوق الشعب، لا مجرد وسيلة لتحقيق المكاسب المادية.

واستنادًا إلى منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات، فإن الأساس الاقتصادي للإنتاج الأدبي عند محمود درويش يُظهر أن عمله شاعرًا، وكاتبًا، ومحررًا أتاح له الاستمرار في إنتاج أعمال أدبية تنحاز إلى قضايا الشعب الفلسطيني. وعلى الرغم من أن الكتابة كانت مصدرًا من مصادر دخله، فإن غايته الأساسية من الإبداع لم تكن تحقيق المنفعة الاقتصادية، وإنما التعبير عن الواقع الاجتماعي، والحفاظ على الهوية الوطنية، والدفاع عن القيم الإنسانية. ولذلك، جاءت قصيدة بطاقة هوية بوصفها تعبيرًا عن المسؤولية الأخلاقية للمؤلف تجاه مجتمعه، وفي الوقت نفسه وسيلةً للنضال من خلال الأدب.

(و) الاحتراف في الكتابة الأدبية

يرى إيان وات أن الاحتراف في الكتابة الأدبية يُعد أحد جوانب السياق الاجتماعي للمؤلف، ويرتبط بمدى التزامه، وتفانيه، واستمراره في ممارسة مهنة الأدب. ويمكن التعرف إلى هذا الاحتراف من خلال غزارة إنتاجه الأدبي، ومشاركته الفاعلة في الحياة الأدبية، وقدرته على توظيف الأدب وسيلةً للتعبير عن أفكاره وتصوير الواقع الاجتماعي. (Wiyatmi, 2013)

ويُعد محمود درويش أحد أبرز الشعراء وأكثرهم تأثيرًا في الأدب العربي الحديث. فمنذ شبابه، واطب على كتابة القصائد التي تناولت موضوعات الهوية، والوطن، والمنفى، ونضال الشعب الفلسطيني. وإلى جانب إصداره

عشرات الدواوين الشعرية، عمل محرراً لمجلة الكرمل الأدبية، وكتب العديد من المقالات، كما شارك في كثير من الندوات والملتقيات الأدبية الدولية. وقد جعلته هذه الاستمرارية في الإبداع معروفاً ليس بوصفه شاعراً فلسطينياً فحسب، بل بوصفه أيضاً أحد أعلام الأدب العالمي، وحاز تقديراً واسعاً وعدداً من الجوائز الأدبية تقديراً لإسهاماته في مجال الأدب.

ويتجلى احتراف محمود درويش في الكتابة الأدبية في قصيدة بطاقة هوية، ولا سيما في المقطع الأول الذي يُعد افتتاحية القصيدة:

سجل!

أنا عربي

يدل هذا الشطر على قدرة محمود درويش على التعبير عن قضية الهوية الوطنية بلغة بسيطة، لكنها ذات دلالة عميقة وقوة تأثير كبيرة. فهذه العبارة الموجزة استطاعت أن تُجسّد الواقع الاجتماعي للشعب الفلسطيني، وأن تُثير وعي القارئ بأهمية التمسك بالهوية الوطنية والحفاظ عليها. كما يظهر احتراف درويش في الكتابة الأدبية أيضاً في المقطع الأخير من القصيدة: (Fazabinal Alim, 2020)

إذن !

سَجِّل .. بِرَأْسِ الصُّفْحَةِ الْأُولَى

أَنَا لَا أَكْرَهُ النَّاسَ

وَلَا أَسْطُو عَلَى أَحَدٍ

ولكني .. إذا ما جُعْتُ

أَكُلُ لَحْمَ مُعْتَصِي

حذار

حذار

مِنْ جُوعِي

وَمِنْ غَضْبِي

يكشف هذا المقطع عن قدرة محمود درويش على توظيف اللغة الشعرية توظيفاً فنياً غنياً بالرموز والدلالات. ولا يُقصد بهذا التعبير الدعوة إلى العنف، بل يُعد استعارةً تُصوّر ذروة المعاناة والمقاومة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في

مواجهة الظلم. ويُبرز ذلك نضج درويش بوصفه شاعرًا استطاع أن يُعبّر عن النقد الاجتماعي من خلال لغة شعرية ذات أبعاد إنسانية ووطنية.

واستنادًا إلى منظور علم اجتماع الأدب عند إيان وات، يتجلى احترام محمود درويش في الكتابة الأدبية من خلال التزامه المستمر بجعل الأدب وسيلة للنضال، والتثقيف، والتعبير عن الواقع الاجتماعي للشعب الفلسطيني. وتُعد قصيدة بطاقة هوية شاهدًا واضحًا على أن مهارة درويش في توظيف اللغة واستلهاهم التجربة الاجتماعية قد أسهمت في إنتاج عمل أدبي يجمع بين القيمة الجمالية والرسالة الإنسانية، وكان له أثر كبير في تطور الأدب العربي الحديث وفي ترسيخ الهوية الوطنية الفلسطينية. ومن ثم، فإن احترام محمود درويش في الكتابة الأدبية أسهم في بقاء أعماله حيّة، وواسعة الانتشار، وذات مكانة مرموقة في الأدب العربي والعالمي.

٢. الأدب بوصفه مرآة للمجتمع

يرى إيان وات أن الأدب بوصفه مرآة للمجتمع هو منهج ينظر إلى العمل الأدبي باعتباره تمثيلًا للحياة الاجتماعية في الفترة التي أُنتج فيها. ووفقًا لهذا المنظور، لا يُفهم العمل الأدبي على أنه محاكاة مطابقة للواقع، بل هو نتاج ملاحظات المؤلف، وخبراته، وتأويله للظروف الاجتماعية المحيطة به. ولذلك، يستطيع العمل الأدبي أن يصوّر مختلف جوانب حياة المجتمع، مثل الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية، فضلًا عن القيم السائدة في عصره (وات، نقله دامونو، ١٩٧٩).

وتُعد قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش من أبرز الأعمال الأدبية التي تعكس واقع المجتمع الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي. فمن خلال هذه القصيدة، يصوّر درويش مختلف مظاهر الواقع الاجتماعي الذي عاشه الشعب الفلسطيني، مثل فقدان الهوية، واغتصاب الأرض، والفقر، والتمييز، والإصرار على الدفاع عن الحقوق والكرامة الوطنية. ومن ثم، يهدف تحليل الأدب بوصفه مرآة للمجتمع في هذا البحث إلى الكشف عن الكيفية التي تمثل بها قصيدة بطاقة هوية واقع الحياة الاجتماعية للشعب الفلسطيني.

(أ) تجسيد الهوية الوطنية للمجتمع الفلسطيني

بيانات القصيدة (المقطع الأول) (Fazabinal Alim, 2020).

سجل !

أنا عربي

وَرَقْمُ بِطَاقَتِي خَمْسُونَ أَلْفَ

يعكس هذا المقطع واقع المجتمع الفلسطيني الذي اضطر إلى الدفاع عن هويته في ظل الاحتلال الإسرائيلي. فقول الشاعر "سجل! أنا عربي" يدل على أن الانتماء إلى الشعب العربي الفلسطيني أصبح هويةً ينبغي تأكيدها في مواجهة السلطة القائمة. أما ذكر رقم بطاقة الهوية، فيجسد واقع المجتمع الفلسطيني الذي يعيش تحت نظام إداري يفرض عليه الرقابة المستمرة ويجعل وجوده وهويته محل تساؤل.

وتُصوّر هذه القصيدة الواقع الذي عاشه الفلسطينيون بعد نكبة عام ١٩٤٨، حيث فقد كثير منهم جنسيتهم، وأراضيهم، والاعتراف بهويتهم الوطنية. ومن ثم، فإن تأكيد الهوية في هذا المقطع يُعد صورةً من صور مقاومة محاولات طمس الهوية الفلسطينية. ووفقاً لرؤية إيان وات، فإن الأدب يعكس واقع المجتمع، ولذلك يمثل هذا المقطع صورةً صادقةً للحالة الاجتماعية للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل الحفاظ على هويته الوطنية.

(ب) تجسيد الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الفلسطيني

بيانات القصيدة (المقطع الثاني) (Fazabinal Alim. 2020).

وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

أسل لهم رغيف الخبز

والأثواب والدفتر

ولا أتوسل الصدقات من بابك

يعكس هذا المقطع الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني نتيجة الصراع والاحتلال. ويُصوّر المتكلم بوصفه عاملاً مجتهداً يسعى إلى تلبية احتياجات أسرته من خلال كدّه وجهده الشخصي. ويبرز ذلك أن الفلسطينيين يحافظون على كرامتهم واستقلالهم، ولا يعتمدون على إحسان الآخرين، رغم ما يواجهونه من ضيق اقتصادي.

وتُظهر العبارة ولا أتوسل الصدقات من بابك اعتزاز المجتمع الفلسطيني بكرامته واعتماده على نفسه. ومن ثم، فإن هذا المقطع يمثل صورةً للواقع

الاجتماعي الذي يعيش فيه الفلسطينيون، حيث يواصلون العمل والكفاح من أجل البقاء رغم الضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي تحيط بهم.

(ج) تجسيد فقدان الأرض وحقوق الملكية

بيانات القصيدة (المقطع الرابع)

سلبت كروم أجدادي

وأرضاً كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

يعكس هذا المقطع واقع المجتمع الفلسطيني الذي فقد أرضه نتيجة الاحتلال الإسرائيلي. فالأرض في حياة الفلسطينيين ليست مجرد مصدر للرزق، وإنما هي إرث ورثوه عن أجدادهم، وتحمل قيمةً تاريخيةً وثقافيةً كبيرة. ولذلك، فإن اغتصاب الأرض يعني فقدان الهوية، والمأوى، والارتباط بالتاريخ والجدور.

وتُصوّر هذه الأبيات المعاناة التي عاشتها كثير من الأسر الفلسطينية بعد فقدان أراضيها. ومن ثم، فإن هذا المقطع يمثل انعكاساً للواقع الاجتماعي الذي تعرض فيه الفلسطينيون للتهجير وسلبت منهم حقوقهم في وطنهم.

(د) تجسيد روح المقاومة لدى المجتمع الفلسطيني

بيانات القصيدة (المقطع الأخير) (Fazabinal Alim. 2020).

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني إذا ما جعت

أكل لحم مغتصبي

حذار من جوعي ومن غضب

يعكس هذا المقطع روح المقاومة التي يتحلى بها الشعب الفلسطيني في مواجهة الظلم الذي يتعرض له. ويؤكد المتكلم أن الفلسطينيين ليسوا الطرف الذي بدأ بالعدوان أو الكراهية، وإنما يلجؤون إلى المقاومة عندما تُسلب حقوقهم ويستمر اضطهادهم، دفاعاً عن كرامتهم وحقوقهم في الحياة.

وتُعد العبارة أكل لحم مغتصبي استعارةً تعبّر عن بلوغ الظلم أقصى درجاته وما يترتب عليه من غضب ومقاومة، ولا ينبغي فهمها على معناها

الحرفي، بل بوصفها رمزًا للصمود والإصرار على الدفاع عن الحقوق والهوية الوطنية. ومن ثم، فإن قصيدة بطاقة هوية تجسد الروح الجماعية للمجتمع الفلسطيني في مواجهة الاحتلال والتمسك بالكرامة والهوية الوطنية.

ج. مناقشة البحث

١. الظروف الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه أديبًا وأثرها في نشأة قصيدة بطاقة هوية

بناءً على نتائج البحث المتعلقة بالظروف الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه أديبًا، يتضح أن الحياة الاجتماعية للأديب ترتبط بنشأة قصيدة بطاقة هوية. ويتوافق ذلك مع نظرية علم اجتماع الأدب عند إيان وات، التي ترى أن العمل الأدبي يرتبط بالحياة الاجتماعية للأديب. فالأديب لا يقف خارج المجتمع، وإنما هو جزء منه، ويتأثر بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وكذلك بالتجارب الحياتية المحيطة به.

ووفقًا لنظرية إيان وات، يمكن النظر إلى السياق الاجتماعي للأديب من خلال مكانته في المجتمع، وأيديولوجيته الاجتماعية، وخلفيته الاجتماعية والثقافية، وعلاقته بالمجتمع، والظروف المرتبطة بمهنته بوصفه أديبًا. وبناءً على نتائج البحث، فإن الظروف الاجتماعية لمحمود درويش بوصفه جزءًا من المجتمع الفلسطيني ترتبط بالقضايا التي تناولتها قصيدة بطاقة هوية، ولا سيما قضايا الهوية، والوطن، والفقدان، والنضال.

وتظهر هذه العلاقة من خلال التجارب الاجتماعية التي عاشها محمود درويش والتي انعكست لاحقًا في أعماله الأدبية. فمسألة الهوية الواردة في القصيدة يمكن ربطها بتجربة الأديب بوصفه فلسطينيًا. وكذلك فإن قضية الأرض التي صوّرت باعتبارها جزءًا من الحياة والأسرة والتاريخ، تدل على وجود علاقة بين خلفية حياة الأديب والقضايا التي تناولتها القصيدة. وبذلك أصبحت التجربة الاجتماعية للأديب أحد الأسس التي أسهمت في تكوين موضوعات العمل الأدبي وقضاياها.

ويدل ذلك على أن نظرية إيان وات حول السياق الاجتماعي للأديب يمكن استخدامها لتفسير خلفية ظهور قصيدة بطاقة هوية. فلا يمكن فصل هذا العمل الأدبي بصورة تامة عن التجربة الاجتماعية لمحمود درويش، لأن الواقع الذي عاشه أصبح جزءاً من عملية الإبداع الأدبي. وقد قام الأديب بتحويل تجاربه الشخصية وصياغتها في شكل أدبي، مما أكسبها دلالات أوسع.

وبناءً على ذلك، فإن نتائج البحث في الجانب الأول تتوافق مع نظرية إيان وات حول السياق الاجتماعي للأديب، لوجود علاقة بين الظروف الاجتماعية لمحمود درويش والقضايا التي تناولتها قصيدة بطاقة هوية. وقد أسهمت هذه الظروف الاجتماعية في ظهور قضايا الهوية والأرض والنضال في القصيدة.

٢. قصيدة بطاقة هوية بوصفها انعكاساً لحياة المجتمع الفلسطيني ونضاله

بناءً على نتائج البحث المتعلقة بقصيدة بطاقة هوية بوصفها انعكاساً للمجتمع، تبين أن القصيدة تصوّر مجموعة من الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الفلسطيني، مثل قضية الهوية، والظروف الاقتصادية، والعلاقة بالأرض، والظلم، والنضال من أجل الحفاظ على الوجود والكرامة. ويمكن ربط هذه النتائج بالجانب الثاني من نظرية إيان وات، وهو الأدب بوصفه انعكاساً للمجتمع.

ويرى إيان وات أن العمل الأدبي يرتبط بالواقع الاجتماعي للمجتمع. ويمكن للأدب أن يعكس حياة المجتمع لأن الأديب يستمد تجاربه ومواد إبداعه من بيئته الاجتماعية. غير أن هذا الانعكاس لا يعني أن العمل الأدبي يمثل صورة كاملة للمجتمع أو أنه يتطابق معه بصورة تامة. فالواقع الاجتماعي يمر أولاً بعملية الفهم والشعور والمعالجة لدى الأديب، ثم يُعبّر عنه من خلال العمل الأدبي.

وفي قصيدة بطاقة هوية، تتجلى حياة المجتمع الفلسطيني من خلال قضية الهوية. فالتأكيد على الهوية بوصفها هوية عربية فلسطينية يدل على أن الهوية تمثل قضية مهمة في حياة المجتمع. وإذا رُبط ذلك بنظرية إيان وات، فإن هذا التصوير يوضح أن العمل الأدبي يمكن أن يكون

انعكاسًا للقضايا الاجتماعية التي تتطور داخل المجتمع. فالهوية الواردة في القصيدة ليست مجرد قضية تخص المتكلم في القصيدة، وإنما يمكن أن تعبّر عن قضية المجتمع الفلسطيني بصورة أوسع.

كما يظهر انعكاس المجتمع من خلال الظروف الاقتصادية. فتصوير العمل واحتياجات الأسرة يدل على حياة مجتمع يسعى إلى تلبية احتياجاته اليومية في ظروف اجتماعية صعبة. ويبيّن ذلك أن العمل الأدبي لا يعكس القضايا السياسية أو الصراع بصورة عامة فحسب، بل يمكنه أيضًا أن يصور حياة المجتمع على مستوى الأسرة والحياة اليومية.

وعلاوة على ذلك، فإن علاقة المجتمع بالأرض في القصيدة تتوافق أيضًا مع مفهوم الأدب بوصفه انعكاسًا للمجتمع عند إيان وات. فالأرض لا تُصوّر بوصفها مجرد مكان للسكن أو مصدرًا للرزق، وإنما ترتبط بالأسرة والأسلاف والتاريخ والهوية. ويشير ذلك إلى أن الواقع الاجتماعي المتعلق بعلاقة المجتمع الفلسطيني بالأرض ينعكس في العمل الأدبي من خلال تجربة المتكلم في القصيدة.

وكذلك يظهر موضوع الظلم. فحالة المتكلم الذي يضطر إلى توضيح هويته وعمله وأسرته ووجوده أمام جهة تمتلك السلطة، تكشف عن وجود علاقة اجتماعية غير متكافئة. وإذا رُبط ذلك بنظرية إيان وات، فإن هذا التصوير يدل على أن العمل الأدبي يمكن أن يعرض الواقع الاجتماعي للمجتمع من خلال تجربة فرد واحد.

وبناءً على ما سبق، فإن نتائج البحث في الجانب الثاني تتوافق مع نظرية إيان وات حول الأدب بوصفه انعكاسًا للمجتمع. فقصيدته بطاقة هوية تعكس حياة المجتمع الفلسطيني من خلال قضايا الهوية، والظروف الاقتصادية، والأرض، والظلم، والنضال. ولم تُعرض هذه الحقائق الاجتماعية في شكل تقرير اجتماعي، وإنما قام محمود درويش بمعالجتها وتحويلها إلى تجربة للمتكلم في العمل الأدبي.

وبناءً على الجانبين من نظرية إيان وات اللذين اعتمد عليهما هذا البحث، يتضح وجود علاقة بين الظروف الاجتماعية للأديب، والعمل الأدبي، وحياة المجتمع. فقد أسهمت الظروف الاجتماعية لمحمود درويش

في توفير الخلفية التي نشأت منها القضايا الواردة في قصيدة بطاقة هوية، في حين تعكس القضايا الواردة في القصيدة واقع حياة المجتمع الفلسطيني ونضاله. ويُظهر ذلك أن نتائج هذا البحث تتوافق مع نظرية علم اجتماع الأدب عند إيان وات، ولا سيما فيما يتعلق بـ السياق الاجتماعي للأديب والأدب بوصفه انعكاسًا للمجتمع.

